جليل أوقار

CELİL OKER

جثة عارية

ÇIPLAK CESET

رواية

Telegram:@mbooks90

ثقافة THAQAFA
للنشر والتوزيع ذ.م.م
Publishing & Distribution L.L.C.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جليل أوقار

CELİL OKER

جثة عارية

ÇIPLAK CESET

رواية

ترجمة

مجد الدين صالح

مراجعة وتحرير

م. سامر السّراج

تصميم الغلاف: علي القهوجي

الطبعة الأولى: شباط/فبراير 2020 م - 1441 هـ

ردمك 9786140238374

THAQAFA ثقافة للنشر والتوزيع ذ.م.م

Publishing & Distribution L.L.C.

الفصل الأول

رن الهاتف أثناء هبوطي في مطار أوهير الدولي في شيكاغو بطائرتي من طراز سيسنا سكاي لين آر جي. وكان صوت الهواء الذي يدخل من النافذة المفتوحة وضجيج المحرك وصوت عجلات الطائرة وهي تنزل للهبوط تحجب عني في البداية صوت رنين الهاتف.

نقلث بصري بين مؤشر تحديد الارتفاع ومؤشر السرعة الرأسية لتحقيق هبوط سليم، ثم أخذت رشفه من كوب القهوة السريعة التحضير التي أصبحت باردة، بينما كنت أطبق جميع قوانين الهبوط بشكل مناسب. وفي الواقع لم تكن ثمة طائرة أخرى تلوح في مجال الرؤية.

حين كنت أوجه طائرتي نحو وسط المدرج، هبّت رياح قوية وحركّت الطائرة بشكل عنيف. فقمت بتخفيف السرعة قليلًا. ولم ألتفت إلى الهاتف الذي أزعجني رنينه مرة أخرى. بل رفعت مقدمة الطائرة قليلًا، وأبقيت سرعتي على حالها، مخففًا من تدفق الوقود.

أما عندما رن الهاتف للمرة الثالثة فقد أطلقث شتيمة. لأن الشخص عديم التفكير الذي يتصل كان عليه أن ينتظرني حتى أتم هبوطي. وهكذا خففت السرعة أكثر، وصارت الطائرة تهتز بشكل عنيف لدرجة أشعرتني بالخوف. فزدت السرعة مرة أخرى.

تعرّقت كفاي قليلًا. وكانت نفسي تتوق إلى تدخين لفافة تبغ، ولكن لم يكن هنالك وقت لذلك... قمت برفع مقدمة الطائرة على مبدأ الكر والفر بالهبوط. ويبدو أنني رفعتها أكثر من اللازم، أو قد أكون أحسست بأنه أكثر من اللازم، فأنزلتها قليلًا. ولم أعد أنظر إلى المؤشرات، مع أنه كان ينبغي علي النظر إليها، إلا أنني لم أفعل. وعدت من جديد لأرفع الطائرة وقد انتابني شعور بالهلع قضى على الغريزة المكتسبة من الهبوط آلاف المرات.

أصبح المدرج تحتي الآن، ولكن سرعتي كانت عالية فخففتها للنهاية. وتداخل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

صوت إشارة التحذير المبكر في المقصورة مع صوت الهاتف الذي أخذ يرن للمرة الرابعة. فقلت مخاطبًا الهاتف: "انتظر دقيقة يا ولد".

ومرة أخرى أنزلت مقدمة الطائرة بسرعة كي لا أتجاوز المدرج، الذي كان طوله يتقلص بمرور الثواني. وما كان عليّ أن أفعل ذلك، إذ اصطدمت العجلات بالمدرج بقوة، بل بقوة شديدة. وسرعان ما ظهرت في البداية تشققات في نوافذ الطائرة، ثم صدرت ضوضاء مرتفعة جدًا، وأخيرًا أطلت عبارة أسفل الشاشة تقول: "لقد تحطمت الطائرة".

وبينما كانت الطائرة من طراز سيسنا المسكينة تتكسر إلى قطع أمام ناظري، رن الهاتف للمرة الخامسة، فتركت مكاني أمام الحاسوب وأسرعت نحو الداخل.

رفعتُ سماعة الهاتف وقلت: "نعم".

يبدو أن المتصل كان قد قطع الأمل من سماع صوتي، لأنني لم أتلقَّ إجابة لبرهة. وبعد قليل سمعتُ صوت امرأة لا تحمل لكنة أهالي إسطنبول تقول:

"رمزي أونال، هل أتحدث مع رمزي أونال؟".

فقلت "نعم، تتحدثين مع رمزي أونال". رمزي أونال، لست عنصرًا في القوات الجوية، ولست موظفًا مطرودًا من الخطوط الجوية التركية، بل شخص لم يتمكن أن يحمل حتى اسم شركة طيران مؤجرة من الدرجة الثامنة. وبفضلك لم يستطع الهبوط حتى بطائرة سيسنا على محاكي الطيران كطيار أو قبطان سابق. نعم أنا المفتش الخاص رمزي أونال.

قالت المرأة: "سأوصلك بالسيد يوسف"، وكان صوتها يأتيني مثل صوت امرأة سبق وأن شاهدتها في أحد الأفلام.

قلت: "من هو السيد يوسف؟".

وعندها فقد الصوت الذي يحادثني على الطرف الآخر ثقته بنفسه للحظات، ثم سألتني من جديد: "هل أتحدث مع السيد رمزي؟".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قلت: "نعم، رمزي أونال. هذا...".

"سأحولك إلى السيد يوسف ساري". وهكذا رمت السكرتيرة بالكرة إلى مديرها. وكان من المؤكد الآن أن تلك المرأة ليست من إسطنبول.

انتظرت وأنا أسمع الأصوات الغريبة التي تصدر عند تحويل المكالمات الداخلية. وكنت جالسًا على الكرسي الذي أمام الهاتف وقد مددت رجلي قليلًا.

"ألووووو.." جاء صوت رجل يدل على أنه من خارج إسطنبول أيضًا. وكان آخر صوت سمعته يشبه هذا الصوت هو صوت السمسار الذي حاول أن يخدعني وأنا أبيع سيارتي آخر مرة.

فأجبت: "ألووووو....".

"هل أتحدث مع رمزي أونال؟".

"تفضل، أنا...".

قال الصوت الذي على الهاتف: "أنت مفتش خاص، أليس كذلك يا صديقي؟".

قلت: "نعم".

سألني الرجل: "هل أنت متتبِّعٌ جيد على الأقل؟".

فسألته بدوري: "من أين حصلت على رقمي؟".

"وجدت إعلانك في صحيفة *حريات*، وكان مختلفًا عن بقية الإعلانات فقلت سأجربه وأتصل بك على الأقل".

قلت لنفسي: أحسنت يا صديقي صاحب وكالة الإعلانات على هذا الإعلان. وهو شخص كنت قد عثرت له على زبون يقرصن المجلة، فقام بالمقابل بنشر إعلان جيد لي بسعر مخفض.

أجبت الرجل: "تمام، أنت على العنوان الصحيح".

قال: "إذن أريد أن تجد لي إيبو يا صديقي".

"من هو إيبو؟".

"ابن أخي. كان في إسطنبول، ولم يصلنا أي خبر منه منذ أيام".

أصبح الآن للصوت القادم من خارج إسطنبول معنى. من يدري ما هي المدة التي لم يتواصل مع أحد خلالها؟ وكم ابن أخ وأخت أو أخ أو أب أو زوج أو خال يوجد له خارج المدينة؟

"أين أنت الآن؟".

قال بلهجة أناضولية: "أنا في ترسوس يا أخي...".

كنت أحب ترسوس، حيث أمضيت أربع سنوات من عمري هناك. وكنت أشم في حديقة المدرسة رائحة النارنج في الليل. والواقع أنني اعتدت تلك الأيام على مخاطبة الآخرين بكلمة "يا زلمة".

قلت: "سنجده يا زلمة، ولكن من الصعب على الهاتف أن...".

قال الرجل وقد بدا سعيدًا لتغير صوتي نحو الأفضل: "انهض، وتعال إلينا يا أخي".

قلت: "تمهّل قليلًا..."، *لا ترسوس ولا مرسوس، فقد تعلمت ألا أخطو خطوة قبل أن اجني ثمار عملي.*

سألته: "لنبدأ من الأول. ما هو اسمك؟".

"اسمي يوسف ساري يا أخي. وإيبو ابن أخي، اسمه إبراهيم ساري".

"هل هو ابن أخيك الحقيقي؟".

"نعم، ابن أخي الحقيقي يا أخي. لقد مات أبوه وتركه أمانة في عنقي".

"وماذا يفعل إيبو في إسطنبول؟".

"يدرس في جامعة البوسفور، فرع علم الاجتماع، فرع لا أعلم ماذا سوف يفيده".

كانت جامعة البوسفور قريبة جدًا من منزلي.

سألته: "هل يمكن أن يكون تفكيره يذهب إلى هنا وهناك بما أنه يدرس في الجامعة؟ ربما يجري وراء البنات أو ما شابه، بينما تتوتر أنت دون مبرر؟".

سكت الرجل لوهلة، وعاد بعدها للكلام: "لا أخي، إيبو فتى سوي. يأتي كل أسبوع إلى هنا. كما أننا نتحادث معه كل يومين. وقد ساورني الارتياب بعدما اختفى لمدة أسبوع. فاتصلت بأصدقائه الذين يعيشون معه، ولكنهم قالوا إنهم لم يروه أيضًا".

كنت أنا الذي التزمتُ الصمت لوهلة هذه المرة، وفكرت أنني يجب أن أتكلم معه بشكل صريح:

"إياك وأن يكون متورطًا في موقف سياسي؟".

بصرف النظر عن القوانين، توجد عندي هواجس شخصية بأنني لا أود التدخل بأي موضوع سياسي، وكنت أمنع نفسي من ذلك. فالإنسان يمكنه أن يفكر بالطريقة التي يرغبها، وأنا كنت أفكر بالطريقة التي أرغبها. إلا أن ثمة حدًا فاصلًا صغيرًا جدًا بين ما نفكر فيه وبين ما نفعله، لذلك كنت لا أريد أن أكون مسؤولًا عن عواقب أي أمر قد يقع.

لكن جواب يوسف ساري كان سريعًا حول هذه النقطة: "لا يا سيدي، ليس لإيبو أي ملابس على ذلك الحبل. أقسم لك. فهو واعٍ ويذاكر دروسه، ويساعدني أحيانًا في عملي في إسطنبول".

"وما هو عملك؟".

عندما سمعت نبرة صوته في الإجابة، بدا الترسوسي كأنه يعاني من أمر ما، أو ربما أكون على خطأ.

"نرسل الحرير والقماش والقطن للتجار في إسطنبول. عملنا جيد، وعندما يكون هنالك حاجة يذهب إيبو إلى التجار في إسطنبول".

وبينما كنت أفكر ما الذي يمكن أن أسأله لعم يبحث عن ابن أخيه في إسطنبول،

غيرث جلستي.

أحس يوسف بترددي فسألني: "ما قولك يا أخي رمزي؟ هل ستعثر لي على إيبو؟ هل ستجد الإرث الثمين لأخي؟".

"سأفعل ما أستطيع. ولكن هذا غير كافٍ، إذ تلزمني تفاصيل أكثر وصور وما إلى ذلك...".

فقال من جديد: "هيا، تعال إلينا، نستضيفك عندنا ونتحدث طويلًا".

ولكن على المرء أن يعاين البضاعة التي يريد الحصول عليها، وهو مطلب يبدو محقًا.

كان يوسف ساري يستطيع أن يقرأ أفكار الناس كل حين، وكان يعرف ماذا يتكلم ومتى يتكلم. فقال: "نتعرف على بعضنا البعض، ونتحدث بموضوع أتعابك المادية".

قلت: "أجل، لنتحدث". لم يخطر ببالي أنني سأشتاق إلى ترسوس بعد كل هذه السنوات. وفكرت أن الجو لا بد أن يكون حارًا هناك.

سألته: "هل ذهبت إلى الشرطة؟".

"لا يوجد شرطة! هنا ترسوس يا أخي، لا يوجد شرطة ولا يوجد إعلام ولا يوجد صحفيون".

فقلت: "فهمتك تمامًا. سوف آتي إليك صباحًا بأول طائرة".

لكنني توقفت قليلًا، ثم قلت له: "ولكن...".

قال: "ولكن ماذا؟".

قلت: "اعذرني يا سيد يوسف، ولكنني لا أريد الذهاب من هنا إلى هناك دون مقابل. لذلك أرسل على الأقل قيمة تذكرة الطيران إلى حسابي، كي يكون اتفاقنا أكثر جدية".

قال: "في هذا الوقت؟".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قلت: "يمكن أن تدخل السكرتيرة المال في حساب بطاقتي. وغدًا صباحًا أدقق حسابي، فإن وصلني المال آتي فورًا".

"كم هو المبلغ؟".

قمت بإضافة مبلغ 125 ليرة على السعر الحقيقي للتذكرة وأخبرتُه بالرقم.

قال: "حسنًا، اتفقنا".

أعطيته رقم حسابي المصرفي الذي أستخدمه من أجل الأمور الصغيرة، وسجلت عنوانه. ثم سألته قبل أن أغلق الخط: "هل تستمع السكرتيرة إلى محادثاتك عادة؟"، فأجاب أنه لا يوجد شيء من هذا القبيل... *ولكن الواقع أن الساعة كانت تشير إلى التاسعة، ولا يبدو أن الفتاة تمانع في العمل حتى وقت متأخر.*

بعد أن وضعتُ سماعة الهاتف نظرت إلى الحاسوب، فرأيت الطائرة تنتظرني من جديد في مطار ميغس الصغير بالقرب من شيكاغو، جاهزة للإقلاع فوق بحيرة ميتشغان. ولكنني لم ألتفت إليها، بل تمشيت في الصالة. ونظرت من النافذة فرأيت الضوء الأحمر يومض أعلى المركز التجاري، وبالقرب منه جامعة البوسفور.

بدأت أفكر بإبراهيم الترسوسي وأنا أشرب مخفوق الحليب. ولكنني لم أستطع أن أكوّن صورة واضحة عنه في خيالي.

اتصلت بالخطوط الجوية التركية لأحجز مقعدًا، كانت هناك رحلتان صباح الغد؛ الأولى في الساعة السابعة، والثانية في الساعة السابعة وخمسين دقيقة، ولكن لم تكن هناك أماكن على متن أي منهما. وقد أسعدني الأمر لأنني لن أضطر إلى الاستيقاظ في الصباح الباكر غدًا.

كانت هنالك طائرة في منتصف اليوم، ولكن لا يوجد على متنها أماكن أيضًا، فسجلت اسمي على قائمة الانتظار في رحلة الساعة 7:50.

عدت لأتمشى في الصالة قليلًا، ونظرت مرة أخرى من النافذة. ومن ثم عدت

CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

للهاتف واتصلت بالرقم 118، وانتظرت. عدت إلى الحاسوب ووصلته، وانتظرت. الخط مشغول، الرجاء الانتظار.

سألت عن إبراهيم ساري. فاستفسروا عن مكان إقامته. *وأنى لي أن أعرف؟*

قلت إنه في حي ليفنت بالقرب من منطقة أتيلار. ولكن لم يكن له قيود هناك، لذلك لم أستفد شيئًا. وهكذا فأنا لا أعرف عن الشخص الذي أبحث عنه سوى اسمه، وهو إبراهيم ساري من ئرسوس.

ورغم أنه خطرت ببالي أشياء يمكنني أن أفعلها هذا المساء، إلا أن رمزي أونال قال لنفسه انتظر، فالصباح رباح.

وفي النهاية خرجت وذهبت إلى السينما.

الفصل الثاني

استيقظتُ صباحًا وشربتُ قهوتي، ثم ضغطت على أزرار الهاتف لأتبع تعليمات الصوت الأنثوي في نظام الحاسوب، وعندما ألقيت نظرة على حسابي المصرفي الذي أعطيت رقمه إلى يوسف ساري، وجدت زيادة ملحوظة في الأموال الموجودة.

لم أشعر برغبة في قيادة السيارة لأنني استيقظت باكرًا ولم أنل قسطًا وافرًا من النوم. فأوقفت سيارة أجرة من الطريق وطلبتُ من السائق أن يوصلني إلى المطار. كان الجو حارًا، ويبعث الخوف في نفس الذاهب إلى أضنة، حيث الحرارة أكثر ارتفاعًا.

لم تكن الشاشة تشير إلى وجود تأخير في رحلة الساعة 7:50 المتجهة إلى أضنة، ولكن بالمقابل لم يكن ثمة أمل في وجود مقعد متاح. فاتجهت إلى إحدى الفتيات اللاتي يتجولن في المطار وفي أيديهن أجهزة لاسلكي، وسألتها عن قائدي الطائرة المتجهة إلى أضنة، فاتضح أن كليهما من معارفي.

ورغم قيامي بإجراء بعض المكالمات الداخلية إلا أنني لم أحصل على تذكرة، ومع ذلك أصبحتُ داخل الطائرة دون أن أملك تذكرة. وبعد أن ربطتُ حزام المقعد، تناولت بعض المشروب بمقدار قليل لا يجعل زملائي السابقين في العمل محرجين عند التحدث معي، ثم أغمضت عينيّ متظاهرًا بالنوم. وسرعان ما غفوت فعلًا.

نزلتُ من الباب الخلفي للطائرة في أضنة. وكانت درجة الحرارة بالمطار مرتفعة لدرجة تجعل المرء يطلق الشتائم. وقد تشاركت سيارة أجرة متجهة إلى مرسين مع ثلاثة أشخاص، ولكننا لم نتحدث طول الطريق. ثم نزلت في مدخل تَرسوس، وأوصلتني سيارة الأجرة الثانية التي استقللتها إلى مكان عمل يوسف ساري في جادة رئيسية بأحد أحياء تَرسوس.

وهناك وجدتُ أنه أقيم بجوار البناء الحجري المهمل المكون من طابقين، والذي تناولت فيه الكباب كثيرًا في سابق الأيام، مجمع تجاري ذو مظهر معماري مخزٍ، مكان تلك المكتبة التي كانت تتكون من طابق واحد. وعند مدخل البناء وجدت

اللوحة التي أبحث عنها: أولاد ساري للتجارة - الطابق الثاني.

عندما دخلت من الباب الرئيسي رأيت رجلًا يرتدي بنطالًا ولديه شاربان مفتولان، يجلس على كرسي معدني بجانب الدرج، وكأنه بشكل من الأشكال موظف استقبال.

أحس الرجل بالطبع أنني غريب، فسألني: "من الذي تبحث عنه يا سيد؟". موحيًا بطريقة ما بأن صعودي إلى الأعلى مرتبط به.

أجبتُ: "يوسف ساري، إنه ينتظرني".

فنظر إليّ من رأسي إلى قدمي، ولم أعرف ما هي الأمور التي كان يبحث عنها من خلال نظراته. لكنه اتخذ قرارًا بأنني شخص مسموح له أن يصعد إلى الأعلى. وهكذا صعدتُ الدرج إلى الطابق الثاني بسرعة.

قمتُ بالضغط على زر الجرس الموجود تحت لوحة المكتب. فصدر صوت عصافير تغني في الطرف الآخر من الباب. ثم فُتح الباب بعد سماعي خطوات امرأة تنتعل حذاءً عالي الكعبين. ووجدت مقابلي صاحبة مقولة: "سأوصلك مع يوسف ساري يا سيدي"، وكانت ترتدي كنزة بيضاء وتنورة قصيرة، وساقاها مكتنزتان. نظرَت نحوي بوجه مملوء بمساحيق التجميل، وكانت نظرتها توحي بأنها لا تريد أن تدعوني إلى الدخول.

قلت: "أريد أن أقابل يوسف ساري".

سألتني ونحن ما زلنا نتحدث أمام الباب: "ومن تكون حضرتك؟".

أجبتها: "رمزي أونال، لقد اتصل بي البارحة".

فأدخلتني فورًا وقالت: "أنت قادم من إسطنبول. ذلك يعني إذن أن المال الذي سحبته البارحة وصل إلى مكانه". ثم أضافَت: "أعتذر منك، لكنني لم أعرفك في البداية".

لم تكن الغرفة التي ولجنا إليها تختلف عن غرف الانتظار من الدرجة الثانية عند

أطباء الأسنان. وقد عُلقت على الحائط أربعة تقاويم جدارية لأربع شركات نسيج مختلفة، ويُظهر كل تقويم شهرًا مختلفًا عن الآخر. وكانت الغرفة تحوي طاولة حديدية وإلى جوارها خزانة معدنية أُلصقت عليها صورة ممثل لا أعرف اسمه. وفي الطرف الآخر من الطاولة كان يوجد كرسي يجلس عليه شخص يلبس بنطالًا من الجينز وفوقه سترة، ويشرب الشاي. نظر نحوي دون أي كلمة ترحيب.

وسرعان ما فُتح الباب المقابل للباب الذي دخلتُ منه، وخرج من الداخل شخص وتقدم نحوي على عجل. ثم سلّم علي وقبّلني من خدي بصورة سريعة.

"أهلًا وسهلًا يا أخ رمزي، أهلًا وسهلًا".

وفي هذه الأثناء وقف الرجل الذي كان يشرب الشاي، أما السيدة التي ترتدي تنورة قصيرة فجلست خلف مكتبها.

قلت: "أهلًا بك".

ورغم أن أبناء ساري يحملون كنية تعني "الأصفر" أو "الأشقر" إلا أن هذه الصفة سقطت منهم بمرور الأجيال على ما يبدو وتحولت إلى الشمرة كما هو واضح من مظهر يوسف ساري، الذي كان سمينًا وكبير الرأس، وعلى وجهه ابتسامة غير جذابة. ولكن ما أثار استغرابي هو عدم وجود شارب على وجهه.

قال: "تعال يا أخ"، وأمسكني من يدي وأدخلني إلى الغرفة التي خرج منها.

كانت المكتب الخاص، ويبدو وكأن يوسف ساري أنفق عليه مائة ضعف المبلغ الذي وفره في تأثيث مكتب الاستقبال. وقد غطت الإنارة كل إنش في الغرفة. وكانت توجد أمام النافذة طاولة مكتب كبيرة وذات انحناءات لا تُحصى، أما المقاعد الجلدية فكانت واسعة ومرتفعة، بحيث إذا جلس عليها حتى شخص طويل مثلي، فإن قدماه لن تلامسا الأرض.

لم يجلس خلف طاولته بل جلس إلى جانبي بكل تواضع، وأخذ يتأملني بإمعان، فتركته يتأمل كيفما يريد.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قال لي مرة أخرى: "أهلًا وسهلًا، ماذا ترغب أن تشرب".

كنت قد شربت القهوة في الطائرة وفي المطار، لذا قررت أن أكتفي بالماء. وفي الحقيقة كنت جائعًا ولكن الوقت لم يكن مناسبًا لتناول الطعام.

بدأ حديثه فجأة بعبارة: "هل ستجد لي إيبو؟".

وبانتظار إجابتي طلب من الفتاة أن تحضر لي ماءً باردًا.

سألته: "أين يمكن أن يكون؟".

قال: "حبًا بالله، ومن أين لي أن أعلم؟". وأضاف: "لا أعلم الكثير من الأماكن التي يمكن أن يكون موجودًا فيها".

"هل هو جيد بدروسه؟".

"والله.. إن قلت لك بأنني أتابع دروسه عن قرب أكون كاذبًا. ولكن على حد علمي ليست لديه مشاكل في الدراسة".

"هل أنت متأكد بأنه لا يوجد لديه جو مع البنات؟".

"اسمع، أنا متأكد من هذا".

فقلت له: "ولكنهم لا يتحدثون كثيرًا عن أجواء البنات".

قال: "لا أعلم عن ذلك الأمر، وإن كان موجودًا فيمكننا أن نتكلم عنه بعد أن تعثر عليه".

دخنت لفافة التبغ التي أعطاني إياها. ثم نهضت، ونظرت إلى الخارج. وبعد ذلك سحبت ورقة من الأوراق التي على المكتب، وتناولت قلم الحبر الجاف الذي كان إلى جانب طقم من أقلام الحبر السائل. وقلت له: "أعطني عنوان المنزل".

أخبرني عنوان المنزل، وكان في منطقة قلعة روملي حصار. وقد حفظت العنوان خلال كتابته. ثم سألته: "هل يوجد رقم هاتف؟".

٢٧٠٧٢٣٩٠٦٥
CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

كتب رقم الهاتف وحفظته أيضًا.

"هل يوجد رقم هاتف محمول؟".

"لا، لقد عرضتُ عليه بداية السنة أن أشتري له هاتفًا محمولًا ولكنه رفض. وفي الواقع فإنني لا أحب تلك الأشياء أيضًا".

"ما هو الفرع الذي يدرسه. وفي أي سنة هو؟".

أخرج من جيبه ورقة مطبوعة على الحاسوب وأعطاني إياها. وكانت كشفًا بمعدل درجاته، فكتبتُ المعلومات عندي.

وحان الوقت لرؤية الصورة، فأخرج من جيبه صورة، بل أربع صور: كانت الأولى لقطة مكبرة يظهر فيها واقفًا بفخر مع عمه يوسف إلى جانب سيارة مرسيدس، والصورتان التاليتان يظهر فيهما مع اثنين من أصدقائه في السرير تحت غطاءٍ ذي ثنيات. أما الصورة الأخيرة فكانت لا تشبه البقية، إذ كانت صورة شخصية يُفترض أنها مختلفة من ناحية الوضعية والإضاءة، وكان يتخذ فيها تعبيرًا مماثلًا لتعبير الممثل والمخرج يلماز غوناي، وقد أضاءت أشعة الشمس القادمة من النافذة جانبًا من وجهه.

قال يوسف: "الولد يحب التصوير، وقد طلب مني أن أحضر له آلة تصوير عندما دخل جامعة البوسفور فأحضرت له واحدة. وكان على ما أعلم يستخدمها أكثر الأوقات في الجامعة ليصور الآخرين، لذلك لا يوجد الكثير من الصور له".

بدا إبراهيم من خلال الصور كثير الشبه بعمه، ولكن أكثر تمدنًا. وهو يحمل مظهر الأشخاص الذين إذا قدموا لك قطعة لحم مشوية في القطار فمن الممكن أن تقبلها منهم وتأكلها".

سألته: "هل لديه أحد يمكن أن يذهب إليه في إسطنبول؟".

دخلت السكرتيرة وهي تحمل الأكواب من دون أن تطرق الباب، وبينما كنتُ أتناول كوبي رأيتُ الشخص الجالس في الخارج والذي يرتدي السترة ينظر باتجاهي، لكنني

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لم أستطع الجزم إن كان ينظر إليّ أم إلى ساقيّ السكرتيرة؟

"سألت الذين أعرفهم، وأولهم أورهان يلماز شريكنا في إسطنبول، الذي كان إيبو يأخذ مصروفه منه عند الحاجة، ولكنه لا يعرف شيئًا. ثم اتصلت بمنزله حيث يعيش مع صديق اسمه عصمت، وهو شخص محترم، وأعتقد بأنه يدرس في نفس فرع إيبو. ولكنه أخبرني بأنه لا يعرف أين إيبو أيضًا. هكذا قالوا لي، وذلك هو كل ما أعلمه".

أشعل لفافة تبغ أخرى من اللفافة التي كان يدخنها، وقال بعبارة زادت من استغرابي:

"لو أن أمرًا حدث للولد، مثل الوفاة أو أية مشكلة أخرى، فإن الخبر كان سيصلنا. أليس كذلك يا أخ رمزي؟".

قلت: "لا قدّر الله. ولكن الأسبوع الذي انقضى يُعتبر فترة طويلة بما يكفي للوصول إليك إن حصل له شيء، فهو يحمل هوية بالتأكيد. لذا أعتقد أنه لم تقع له أية مشكلة".

"وهذا ما أقوله أيضًا، ولكن المرء لا يمكن أن يمنع نفسه من التفكير بهذه الطريقة. خاصة أن قلبي يحمل معزّةً كبيرة للولد. صدقني إنني لا أدري ماذا آكل وأشرب في هذه الأيام".

أعتقد بأنه حان وقت السؤال الذي كان يجول بخاطري من البارحة، إذ أنه من الضروري الاستفهام عن اتساق مشاعر وتصرفات الشخص.

قلت: "انظر يا رجل"، فقرّب وجهه مني، "فهمنا أن الولد غالٍ عليك، ولكن ألم يخطر ببالك أن تذهب إلى إسطنبول لتبحث عنه؟ لو كنت مكانك لفعلت ذلك، وأي شخص في المدينة كان سيفعل ذلك. أنت هنا تنقطع عن الطعام والشراب، وتتصل بشخص وتدعوه من بعيد طالبًا منه أن يجد لك الولد. إنني أجد الأمر غريبًا بصراحة".

نهض عن الطاولة، وأطفأ لفافة التبغ في الصحن الزجاجي، ثم نظر إليّ قائلًا:

"أنت محق. لنذهب ونتناول الطعام، وسأشرح لك الأمر هنالك".

أخبرني يوسف ساري أننا سنتوجه إلى مطعم الكباب الواقع بجوار محطة القطار. وعندما دلفتُ إلى السيارة من طراز مرسيدس التي كانت في الصورة، وجدتُ أن السائق هو الشخص صاحب السترة الذي كان يشرب الشاي، واسمه حسن. لم نتحدث أنا ويوسف ساري طوال الطريق، وكذلك لم يتحدث حسن. أما أنا فكنت أتأمل ما حولي، وأفكر كم تغيرت تَرسوس عليّ كثيرًا. فأغلب أشجار النخيل والزيزفون التي كنت أعرفها قد قُطعت.

جلسنا على طاولة تحت كرم في حديقة المطعم، وكانت درجة الحرارة هنا منخفضة أكثر من الأماكن الأخرى، بينما جلس حسن عند المدخل.

بدا يوسف غارقًا في التفكير، وكان أمامه كأس من المشروب، أما أنا فكان أمامي كأس من عصير اللفت.

بدأ يوسف الكلام: "كان أبوه قليل التفكير، وشخصًا لا يُحسن التصرف، فكان يفعل كل ما يجول بخاطره، وفجأة يذهب ويختفي. وفي كل مرة كان أحد الأصدقاء الذين يعرفونه في إسطنبول أو إزمير أو ديار بكر أو بورصا يخبرني عن مكانه، فأذهب وأحضره، وكنت أحيانًا أستلمه من الشرطة. أما عندما تنفد الأموال منه فكان يأتي إليّ زحفًا، لتسديد حساب الفنادق والراهنين. حتى أنني ضُربت مرة بسببه".

كنتُ معتادًا على الاستماع للآخرين دون أن أقاطعهم، فتركته يكمل ولم أنظر حتى إلى عينيه. أخذ رشفة من مشروبه مرة أخرى، وتابع:

"في إحدى المرات وجدته في قيصري، وقد باع سيارته، وأنفق أمواله في الحانات. وكان مستلقيًا بين قشور البطيخ داخل مكان قديم، فلم أستطع التحمل وضربته ضربًا مبرحًا، حتى خلّصه التجار من بين يدي. وعندما عدنا أضاف إلى جنونه الامتناع عن الكلام. يبدو أن الضرب كان مفيدًا له، إذ بقي فترة بدون مشاكل. وذات يوم...".

جاء صحن كبير من مقبلات أضنة، فرفع يوسف ساري رأسه ونظر إلى عيني لأول

مرة منذ أن بدأ الكلام، ثم قال:

"أقسم على كتاب الله بأن هذا الكلام سيبقى بيننا".

كانت عبارته حاسمة فهززتُ رأسي فوزًا، وكان ذلك كافيًا له.

"كان عمر إيبو حينها أربع سنوات، عندما اكتشفتُ أن أخي يخون زوجته، حيث كنا في المنزل الجبلي، وسمعتُ أصواتًا في الطابق السفلي، فهرعتُ نحو مصدر الأصوات، ورأيتُ مشهدًا يصعب عليّ شرحه، إذ كان الاثنان عاريين تمامًا. ولكن أحدًا غيري لم يسمعهما والحمد لله. ولم أنتظر أبدًا بل ركضتُ وأحضرتُ مسدسي، ثم وضعتُه في فمه، وسألته: هل أطلق النار عليك؟ لعنك الله، سوف تجعلني قاتلًا. وبعد ذلك شتمتُه وأخرجتُه من منزلي، وعدتُ إلى النوم ولكن جسمي كان يرتجف بشدة".

كان يشرح لي وهو يأكل الكباب مع الصلصة. والعرق يكاد يغمره، وهو يشرب كأس الانتقام في ساعات الظهيرة بمدينة ترسوس.

تابع دون أن ينظر إليّ: "استيقظتُ على صوت صراخ زوجته، فقد أعدم نفسه بسقف المنزل، وكان جسده يتأرجح مثل الأرجوحة. والواقع أن المختار والشرطة كانوا يعرفون جنون بركات، لذا تم إغلاق القضية والضبط قبل أن تكبر القصة. ومنذ ذلك اليوم لم أذهب أبدًا إلى الجبل، ولم تنزل زوجته إلى المدينة".

قاطعتُه لأول مرة منذ أن بدأ الحديث: "وتوليتَ أنت رعاية إيبو؟".

"حين صار في سن المدرسة الابتدائية أحضرته ليقيم عندي، فأمه لم يكن يُرتجى منها شيء أساسًا، إذ أضحت بنصف عقل بعد ذلك اليوم. وكان إيبو ولدًا ذكيًا، فدرس بكل جد، واستطاع أن يلتحق بأرقى الجامعات التركية جامعة البوسفور. وأنا في الأصل لم أكن متزوجًا، ولو كان عندي ولد لكنت رعيته مثل إيبو".

توقف عن الكلام ولفَّ ورقة تبغ، فقلتُ لنفسي إنه يحمل عاطفة لا يدل عليها وزنه.

أضاف قائلًا: "عندما اختفى إيبو هذه المرة خطر أبوه ببالي فورًا، وأخذت أتساءل هل يشبه الولد أباه يا تُرى؟ وانتظرتُ أن يظهر ويقول شيئًا، أو أن يصلني خبر عنه.

ولكنه لم يظهر، فقلقت عليه، وخفت من نفسي..".

"خفت من نفسك؟".

"نعم، خفت من نفسي. لأنني لا أعلم إن كنت سأصبر على عدم ضرب الولد أو ما إلى ذلك. فقد أتصرف بشكل جنوني في لحظة غير طبيعية، لذلك أردت أن تجده أنت بدوني..".

قلت: "فهمتُ". في الواقع لم أفهم ولكنني قلت إنني فهمت، لأنه من الجيد أحيانًا إظهار أننا فهمنا الأمر للنهاية حتى لو لم نفهمه.

حلّ الوقت الذي يغير فيه يوسف ساري الموضوع: "الآن يا أخ رمزي، كم هو الأجر المترتب علينا خلال فترة بحثك عن إيبو؟".

ذكرتْ مبلغًا قد يشكّل ثروة لشخص يعيش بالحد الأدنى للأجور، فلم يقل شيئًا، بل قام بمسح ما تبقى في صحن صلصة الكباب تمامًا بالشوكة. بينما أضفتُ أنه إذا جدّ أمر يتوجب دفع مبلغ كبير مقابله، فسوف أطلبه منه بشكل مباشر. ومن جديد لم يعلق بأي شيء.

طلبت منه أن يعطيني مبلغًا كدفعة أولية، فقال: "حسنًا يا أخ. أنهِ وجبة الكباب لنعود إلى الدكان".

أنهيت الكباب دون أن أغمسه بالصلصة التي أشبعها تحريكًا.

وعندما عدنا إلى مركز أولاد ساري في الطابق الثاني وجدنا على الأرض نتفًا من اللحم على العجين بالفستق الذي كانت تأكله السيدة "سأوصلك مع يوسف ساري يا سيدي".

دخل حسن المكتب معنا وأخذ مكانه على الكرسي، أما يوسف فطلب من الفتاة أن تحضر لنا القهوة. ثم أخرج من مكتبة إيصال دفع ووقعه وأعطاني إياه، بعد أن كتب فيه كامل المبلغ الذي طلبته، وكان التاريخ هو تاريخ الغد. فلم أتفوه بأي تعليق.

قال بشكل جدي: "اسمع يا أخ رمزي، أنا عندما أصاب بالصداع أذهب إلى الطبيب،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وعندما يؤلمني سني أذهب إلى طبيب الأسنان. وإذا استلزم الأمر عملية فإنني أجريها فوزا. وطبيب هذا الأمر هو أنت، لذا أعطيتك كل المال الذي طلبته لتجد لي إيبو. اعثر عليه قبل أن يحصل له أي مكروه".

وضعت الإيصال داخل محفظتي، وأنا أفكّر أنني يجب أن أقدم له شيئًا مقابل المبلغ الذي دفعه لي. ثم سألته: "ماذا تريدني أن أقول له حين أجده؟".

لم يقل شيئًا في البداية، بل علّت وجهه ابتسامة يصعب تفسيرها. ثم تحدث ببطء وهو ينقر بأصابعه على المكتب، ولاحظتُ وجود تأثير خفيف للمشروب على كلامه:

"قل له إنه عندما يعود إلى المنزل فسأخبره الكثير من الأشياء التي لديه فضول لأن يعرفها عن والده".

قلت: "وأنا أصبح لديّ أيضًا فضول لمعرفة هذه الأمور".

فقال: "لا يهمك الموضوع يا أخ رمزي، لا يهمك".

جنّبني دخول الفتاة وهي تحمل فناجين القهوة أن أرد عليه الرد المناسب، بينما أخرج يوسف ساري بطاقتين من علبة أمامه، وأعطاني إياهما قائلًا:

"هذه البطاقة يوجد فيها عنوان أورهان يلماز، ولكن عمله الأساسي ليس هو المذكور عليها. سوف أتصل به وأخبره أن يعطيك ما تحتاجه إذا لزم الأمر، وأن يساعدك في كل ما تريد. وهو سيفعل أي شيء من أجلي، ولكن يُفضل ألا يعرف أحد بالأمور التي بيننا. أما البطاقة الثانية فهي بطاقتي".

كان المكتوب بحروف مزخرفة على بطاقة أورهان يلماز هو: يلماز للإنتاج، وتحت الاسم كُتب: استوديو للصوت وإنتاج الأشرطة، والعنوان يقع في سِراسيلفيلار. فحفظت كافة التفاصيل التي على البطاقتين.

وفجأة أخرج يوسف ساري علبتين من تحت الطاولة، تشبهان علب الدخان، ومغلفتين بمظروف مؤسسة ساري، ومربوطتين بحبل.

قال لي: "أرجو أن تعطيها لأورهان في إسطنبول بعد إذنك. كنت سأرسلها مع إيبو

ولكن النصيب شاء أن تأخذها معك".

قلت: "حسنًا"، وكان من الواضح أن وقت المغادرة قد حان، فأضفت: "لديك رقم هاتفي".

سألني: "ألا يوجد عندك هاتف نقال؟".

أجبته: "من المفيد في عملنا أن تبقى يدا المرء حرتين ليستخدمهما متى يشاء"، لم يكن بالتأكيد تعبيرًا جيدًا، والحقيقة هي أنني لا أحب أن يصل إليّ أي شخص في الوقت الذي يريد. لذا كتبت رقم وسيط خلف بطاقة صممها لي أحد أصدقائي.

قلت له: "إذا ثاب إيبو إلى عقله وعاد فأخبرني. ومن جهتي لا تقلق فسوف أتصل بك بشكل دائم".

فقال: "سأنتظر خبرًا منك. هيا اذهب واعثر عليه من أجلي".

قبّلته من خده مودعًا، وكانت القبلات حميمية أكثر من ذي قبل.

وقبل أن أركب سيارة الأجرة، مشيت قليلًا في الشارع، وذهبت إلى المحل الواقع في الزاوية والذي اعتدت على الذهاب إليه بعد المباريات، فشربت عصير اللفت من جديد.

ثم مررت أمام المدرسة التي أمضيت فيها أربع سنوات من عمري، ولم أكن أريد بالطبع أن أعبر هذه القضبان الحديدية وأدخل، بل رغبت فقط أن أستنشق الهواء هناك. ولكن عوضًا عن رائحة النارنج وصلَت إلى أنفي رائحة القمامة المكومة في المكان.

مزّقت البطاقات والأوراق التي أعطاني إياها ورميتها في القمامة، ثم توجهت نحو جادة مرسين وذهبت إلى بائع البقلاوة، فاشتريت من عنده قطعة بقلاوة كبيرة. وبعد ذلك وضعت علب يوسف ساري في كيس، وركبت سيارة الأجرة إلى أضنة. وهذه المرة وجدت مقعدًا فارغًا في طائرة المساء، فركبت الطائرة ورائحة القمامة ما تزال بأنفي.

أعتقد بأنني أعرف الأمور التي يزيد يوسف ساري أن يخبرها لإبراهيم عن والده.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثالث

تمالكت نفسي بصعوبة كي لا أنام في سيارة الأجرة بطريق عودتي من المطار إلى المنزل. وفور وصولي أخرجت من الثلاجة خبزًا وقطعة سجق أكلتها نيئة.

كتمت صوت جرس الهاتف، وحولت المكالمات إلى المجيب الآلي للمكالمات، ثم ذهبت إلى السرير.

وكانت آخر فكرة خطرت ببالي قبل أن أغفو هي رؤية والد إبراهيم ساري في الحلم وهو معلق بسقف الغرفة ويتأرجح. ولكنني لم أره في الحلم وكذلك لم أرَ الطائرة من طراز دي سي التي تحمل على متنها 178 مسافرًا والتي حطمتها نتيجة هبوطي القاسي نوعًا ما.

عندما استيقظت كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة بقليل، وأثناء تناول قهوتي اتصلت برقم منزل إيبو، وانتظرت طويلًا ولكن لم يرد أحد على الهاتف. فاتصلت برقم أورهان يلماز، ولكن أحدًا لم يرد أيضًا. قلت لنفسي إن أي شخص سيئ النوايا يمكن أن ينتقد ساعات العمل عند شركة يلماز للإنتاج لأنهم لم يفتحوا حتى هذا الوقت.

شربت فنجانًا ثانيًا من القهوة. ولم يكن صبي البقال قد أحضر جريدتي، فاتصلت بالبقال وأسمعته تأنيبًا، ثم ارتديت بنطال جينز أزرق وقميصًا، ومارست حركات تسخين الإيكيدو1 لمدة 12 دقيقة. وهو أمر كنت أمارسه منذ سنتين في منطقة بزم تبه. والواقع أن هذه الحركات التي تعلمتها في مدرسة الطيران الحربي ممتازة بالنسبة لشخص في مثل عمري لا يرغب في الذهاب إلى الملعب لممارسة الرياضة. وهي عبارة عن حركات مناسبة لمحقق خاص لا يستطيع استخدام السلاح لأن القانون يمنعه من ذلك، وحتى لو سمح له فإنه لا يستخدمه، وتترافق تلك الحركات مع القليل من الفلسفة والتعرق والتواصل الاجتماعي. فالشخص الذي كتب الإعلان بصحيفة حريات والذي أثر بيوسف ساري تعرفت عليه أثناء ممارسة الإيكيدو.

بعد أن انتهيت من التحمية أصبحت جاهزًا، أو كما يقول كُتّاب أنماط الحياة في

الصحف، "جاهز ليومك". لنرَ إن كنتُ جاهزًا كي أجد إبراهيم ساري.

اغتسلت لأتخلص من طبقة التعرق الخفيفة التي كانت على جسدي. والواقع أن الجو لم يكن حارًا كما هو في أنقرة، ولكنه كان حارًا لدرجة تجعل أي مدرس متقاعد يخشى الخروج من المنزل. حتى أنني عندما فتحت باب السيارة انتظرت قليلًا لتخرج الحرارة منها قبل الصعود إليها.

كانت جامعة البوسفور قريبة من منزلي، وعندما وصلتُ إلى ما يبدو أنه مقر الحراسة عند باب الجامعة كان هنالك موظف شبه مستيقظ، وكأنه سوف ينام إلى وقت الغداء، فأظهرت له بطاقة انتسابي القديمة للخطوط الجوية التركية المنتهية صلاحيتها منذ سنوات. نظر إليها بشكل سريع وألقى عليّ التحية، ثم رفع الحاجز وأشار إليّ بيده لأدخل.

وصلتُ إلى المرأب الذي أعتقد بأنه كان سابقًا مكانًا عشبيًا جميلًا وذو إطلالة رائعة. وبعد أن ركنت سيارتي بين سيارة من طراز بي إم دبليو وسيارة سوداء ذات دفع رباعي ترجلتُ ومشيت نزولًا، ومررت بساحة كبيرة بقدر ملعب كرة القدم وقد تمدد فوق عشبها الكثير من الشباب والشابات. فتابعت المسير عبر المكان الأكثر ازدحامًا بخطوات تشبه خطوات ولي أمر طالب غبي. ثم مررتُ بدرج يبدو أنه يصل إلى صالة رياضية في الطابق السفلي كما توحي حركة الأولاد والأصوات الصادرة من المكان. وبعد أن مشيتُ في ممر عريض وجدتُ إلى يميني مقصف الجامعة وكان شديد الازدحام.

وقفت عند المدخل، فانتبه إلى قدومي الطلاب الجالسون في المقصف والذين لا تتجاوز أعمارهم العشرين عامًا ويلبسون ملابس جميلة ويشربون الكولا والشاي والقهوة ويدخنون التبغ. وهو أمر طبيعي أن يلفت انتباههم شخص يلبس سروالًا من الجينز الأزرق وقميصًا قصير الكمين وحذاءً طويلًا.

أخذ بعض الفتيات والصبية يتبادلون النظرات، وبدأت الأصوات تخفت. وأخيرًا اتجه نحوي من أكبر مجموعة من الجالسين شاب لطيف ذو شارب، ويبدو أنه يملك روح المبادرة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سألني: "هل تبحث عن أحد؟".

أومأت رأسي بالإيجاب معطيًا انطباعًا بأنني ولي أمر أحد الطلاب: "أبحث عن إبراهيم ساري".

"ما هو الفرع الذي يدرسه؟".

"يدرس فرع علم الاجتماع، السنة الثالثة".

نظر حوله وكأنه يبحث وسط هذه الزحمة عن أحد الطلاب في فرع علم الاجتماع، ثم سألني: "هل أنت والده؟"، وكانت نبرة صوته تشبه نبرة من يسأل أحدهم هل أنت شرطي.

أجبته: "لا، أنا قريبه من أضنة. وجئت لزيارته بناءً على طلب من عمه".

قال: "في أي سكن طلابي يقيم؟".

قلت: "لا يقيم في سكن طلابي، بل يسكن في منزل بحي حصار. وقد ذهبت إليه صباحًا ولكنني لم أجده".

حرك شفتيه بشكل يوحي بأنه لا يعرفه وبأنه لم يجد أحدًا من طلاب علم الاجتماع في المقصف وبأنه ما من أمل ولا يهمه الأمر أصلًا.

تذكرت إحدى الصور المعلقة في لوحة الإعلانات التي مررت بها، والتي تُظهر مجموعة من الطلاب في النادي فقلت:

"سمعت أنه كان عضوًا في نادي التصوير الضوئي. ربما تجد أحد الأصدقاء الذين يعرفونه".

أعتقد أن مهمتي أصبحت الآن أسهل من قبل، فهناك شيء يلفت الانتباه.

نادى الشاب على شخص كان يجلس مع مجموعة ويتناقشون بموضوع لا أدري ما هو:

CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

"هلّا تلتفتْ إلى هنا يا إسماعيل؟".

نظر إلينا إسماعيل ذو الشعر الطويل. ثم وضع كتبه مع المجلات التي كانت على الطاولة ونهض قادمًا باتجاهنا.

"نعم؟".

قال الشاب ذو الشارب: "هذا الأستاذ.." يبدو أنه أدرك أنني لست من الشرطة "يبحث عن شخص يدعى إبراهيم ساري، كان معكم في نادي التصوير".

قال إسماعيل ذو الشعر الطويل: "نعم، ولكنه مختفٍ منذ فترة طويلة. هل أنت والده؟".

قلت: "لا، أنا قادمٌ من أضنة، ومعي بعض المال له من عمه".

"بصراحة أنا في حيرة، ولا أعلم مكانه. وقد حانت فترة الاختبارات النهائية، وهو معرَّضٌ للطرد من الجامعة إن لم يأتِ".

قلت: "لا سمح الله.. أين هو ذاك الولد؟"، وترافق كلامي مع شيءٍ من أمارات الحيرة التي تظهر عادة على وجه الشخص.

قال لي الشاب ذو الشارب الذي قابلته في البداية: "إذا عثرتَ على أحد من صفه فإن البحث عنه سيكون أكثر سهولة". ثم عاد إلى طاولته، وانتهى اهتمامه بالموضوع.

قال إسماعيل: "أنا أبحث أيضًا عن إيبو، لأن مفاتيح الغرفة المعتمة معه. ونحن لا نفعل شيئًا هذه الأيام سوى الدراسة بشكل مكثف استعدادًا للامتحان، ولم نتمكن من دخول هذه الغرفة منذ فترة".

وأضاف بعد ذلك قائلًا كأن حلًا خطر بباله: "يوجد إلى الأمام مقصف آخر. ربما تجد أحدًا يعرفه، فقد اعتاد الجلوس هناك غالبًا".

شكرتُه واتخذتُ طريقي نحو المقصف الثاني، فمشيتُ في الممر وارتقيتُ الدرج، ولاحظتُ أن التشمس فوق العشب ما زال مستمرًا في الساحة. تابعت المشي نحو

ذلك المقصف كما أرشدوني إلى موقعه، وعبرت ما بين البناءين التاريخيين للجامعة المطلين على البوسفور والموجودين منذ أكثر من مائة عام.

لم يكن الاختلاف بين هذا المقصف والمقصف الأول يتمثل فقط في أن عليّ صعود الدرج بدلًا من نزوله، بل كان الجو هنا أكثر انفتاحًا من هناك، فملابس الفتيات أكثر حرية، والشباب كانوا أقل اهتمامًا، إذ لم يلتفت أحدٌ نحوي عندما دخلت.

سألتُ النادل الذي كان يحمل أكوابًا فارغة: "هل يوجد هنا أحد يدرس علم الاجتماع؟".

لم يكن النادل مهتمًا فيما إذا كنتُ شرطيًا أم لا، فنظر حوله، وأشار إلى فتاتين كانتا تجلسان في نهاية المكان.

سرتُ باتجاه الزاوية التي أشار إليها، وعندما تبقَّت ثلاث خطوات للوصول إلى الفتاتين، لاحظتا أنني قادم نحوهما، فسحبت إحداهما قدمها التي كانت ممدودة تحت الطاولة، واعتدلت في جلستها كأن القادم أبوها. كانت ترتدي تنورة قصيرة وساقاها بيضاوان مثل الثلج، وكذلك كانت كنزتها بيضاء وصغيرة. ولكنني غضضت بصري ولم أتجاوز أدبي.

سألتُ: "المعذرة، هل تدرسان علم الاجتماع؟ أنا أبحث عن طالب في السنة الثالثة اسمه إبراهيم ساري".

بدا الغضب على وجهها وكأنني قلت لها: أنا من طرف الإدارة، وقد عرفوا من التسجيلات أنكم تغشون في امتحان مادة المدخل إلى علم الاجتماع.

"هل أنت والده؟".

استطعت أن أصل من خلال هذا السؤال إلى مستوى والد أحد الأولاد في جامعة البوسفور. وأجبتها ذات الإجابة التي كررتُها قبل ذلك حتى حفظتُها.

قالت: "وأنا أبحث عنه أيضًا"، واسترد وجهها لون الطبيعي، ثم أضافت: "اليوم هو أول يوم في الامتحانات ولكنه لم يأتِ. هل بحثتَ عنه في منزله؟".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قلت: "اتصلت فقط. هل هناك أحد أستطيع أن أسأله؟".

قالت الفتاة الأخرى: "يمكن أن يكون لدى عصمت جواب".

سألتها باعتبار أنني أسمع اسمه أول مرة: "من هو عصمت؟".

قالت الفتاة ذات الساقين البيضاوين: "إنه زميله في المنزل. لقد كنا سويًا في الاختبار صباحًا، ولكننا خرجنا قبله. انتظر قليلًا وسوف يأتي".

قلت: "حسنًا، شكرًا لكم. سوف أنتظر عصمت، ولكن إذا رأيتما إبراهيم قولا له أن يتصل بعمه فهو قلق عليه. وأخبراه أيضًا أنه يوجد بعض المال معي أرسله له عمه".

قالت ذات الساقين البيضاوين: "سأخبره بذلك". ثم بدأت تقضم أظافرها.

كانت هناك فتاة ذات شعر أسود قصير وشفتين رفيعتين، تجلس على بُعد طاولتين وتراقبنا بشكل غير مباشر محاولة عدم إظهار ذلك. أظن أنني رأيتها سابقًا فوجهها مألوف بالنسبة إليّ.

ذهبتُ نحو طاولة البيع واشتريت قهوة في كوب من البلاستيك، وكانت قهوة سيئة جدًا. ثم عدت لأجلس إلى طاولة بعيده عن الفتاتين وكأن عملي معهما قد انتهى. واخترت كرسيًا يعاكس جهة جلوسهما. وبدأت أقرأ كتاب "خلف القلعة".

كان هناك أشخاص يدخلون إلى المقصف ويخرجون منه، ولكن الضجة انخفضت بشكل عام. وكنت أرشف رشفات صغيرة من قهوتي إلى درجة أنني قد لا أنتهي منها بهذه الطريقة أبدًا.

بعد قليل دخل من الباب شاب يشبه ترافولتا في شبابه، كان ملتحيًا ويرتدي بنطالًا قصيرًا وكنزة بيضاء. اتجه مباشرة إلى طاولة الفتاتين اللتين تحدثتُ إليهما، وعندما اقترب من الطاولة مد يده وضرب كفه بكف البنت ذات الساقين البيضاوين، التي قالت له شيئًا وأشارت ناحيتي. فالتفت الولد تجاهي ونهض قادمًا باتجاهي.

قال لي ببرود: "أخبروني بأنك تسأل عني".

قلت: "نعم، أبحث عن إبراهيم".

"الأهبل لم يأتِ إلى الاختبارات. لا أعلم أين هو".

كان يتحدث وكأنه لا يوجد أي علاقة بينه وبين إبراهيم.

"هل تسكنان سويةً؟".

قال: "أنا ادرس في منزل أحد الأصدقاء، ولم أرَ إيبو منذ فترة طويلة".

قلت: "اجلس قليلًا لنتحدث".

سألني: "عن أي شيء سنتحدث؟"، ولكنه جلس.

فأجبته: "اسمعني، لا أعلم أين هو إيبو، وعمه قلق جدًا. ولا أحد يعلم مكانه، وبما أنك زميله في السكن عليك أن تساعدني لأجده".

قال: "انظر، لقد اتصل بي عمه وقلت له لا أعلم أين هو. وعلى كل حال فإنني سأترك البيت".

"هل علاقتك سيئة مع إيبو؟".

قبل أن يجيبني فكر قليلًا، "نحن لسنا قريبين أصلًا، وكل ما في الأمر أنني كنت أبحث عن زميل سكن في السنة الماضية لذلك تشاركنا السكن. وفي الفترة الأخيرة أشعرني بأنه سيكون سعيدًا إذا أقام لوحده في المنزل، كما أنه أصبح أكثر فظاظة واعتراه الكثير من التغيير".

سألته: "ما السبب الذي جعله يتغير برأيك؟".

فأجاب: "المال، إذ بدأ عمه يرسل له الكثير من المال".

كان عصمت يعرف جيدًا كيف يعكس مضمون كلامه على صوته، فعندما قال "عمه" أظهر الأمر بصورة تعبيرية جيدة.

قلت: "فهمت. ولكن إذا رأيته أخبره أن يتصل بترسوس، لأنهم قلقون عليه".

قال: "سأخبره".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"كيف هو امتحانك؟".

"لا بأس".

***

خرجتُ من المقصف المتحرر، ومشيتُ في الممر بين الأعشاب، ونزلتُ الدرج الذي نزلته عندما دخلتُ والذي يوصل إلى المقصف الأول. ثم وقفت أمام صور النوادي المعلقة على الحائط، والواقع أنه لم تكن هنالك على اللوحة إلا صور من معرض أقيم قبل شهرين. دخلت إلى المقصف وطلبت من إحدى الفتيات الجالسات قلمًا، وعدت نحو اللوحة وكتبت خلف إحدى الصور: "اتصل بي، يا إبراهيم ساري"، وأضفت عنوان المنزل ورقم الهاتف، ثم أعدت تعليق الصورة بالدبوس ولكن بشكل يُظهر الرسالة التي كتبتُها.

وبعد أن أعدت القلم إلى صاحبته سمعت صوتًا يناديني من خلفي. كان صوتًا لطيفًا لشاب عشريني واثق من نفسه: "يجب أن تأخذ إذنًا مني كي تُعلق إعلانًا هنا".

التفتُ إلى الخلف، فوجدتُ شابًا يلبس قميصًا قصير الكمين وبنطالًا قماشيًا ويضع ربطة عنق، وينتعل حذاءً سويديًا، وكان يضع نظارة، ويبدو أنه حلق لحيته هذا الصباح. كان شابًا بالنسبة إليّ، ولكن مقارنة بالشباب الموجودين هنا كان متقدمًا في السن. بدا شخصًا يحمل حس المسؤولية عن جامعة البوسفور، وكان ينظر نحوي مبتسمًا وهو واثق من نفسه.

سألته بطريقة ودية: "وهل خالفتُ القواعد؟".

فأجابني: "الأمر ليس مهمًا. أنا كورتار توبراك عميد الأنشطة الطلابية هنا، لقد أخبروني أنك تبحث عن إبراهيم".

"وهل تعرفه؟ سألت أصدقاءه فقالوا بأنهم لم يروه منذ فترة".

"طبعًا أعرفه، وقلقت أيضًا عندما لم أره في الامتحان. أخبرني الأصدقاء أنك من أقربائه".

قلت: "الطلاب هنا فضوليون".

قال كورتار توبراك: "وبالذات الطلاب الذين يجلسون في هذا المقصف، خاصة عندما يقابلون شخصًا أكبر سنًا منهم، ويعتقدون بأنه يعمل بالسياسة. من الواضح أنك لست من أضنة".

"لست من أضنة ولست من أقربائه".

أمسك توبراك يدي بشكل ودود وقال: "تعال لنتكلم في مكتبي".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الرابع

صعدنا طابقًا أعلى في نفس المبنى، ودخلنا ممرًا يحوي على جانبيه الكثير من الغرف المتجاورة. أما الجدران فقد غلّفت عليها أوراق مطبوعة على الحاسوب بدلًا من أوراق النوادي. مررنا أمام امرأة كانت تقرأ "المجنون"، ودخلنا إلى غرفة صغيرة. وأثناء العبور من الباب طلب كورتار من السكرتيرة بطريقة مرحة: "هلّا تحضرين لنا فنجانين من القهوة سريعة التحضير، رجاءً يا إسين".

كان التعبير على وجه إسين وكأنها تقول له: أنت دائمًا تحضّر قهوتك بنفسك، فلا داعي لأن تُظهر أنك مهم أمام رفيقك، ثم أغلقت كتاب "المجنون".

كانت الغرفة صغيرة جدًا بالفعل. والظاهر أن المكان كان بالأساس غرفة كبيرة جدًا، ولكنهم قاموا بتقسيمها إلى غرف صغيرة بواسطة ألواح خشبية، وكانت هذه الغرفة إحداها. ألقيتُ نظرة على محتوياتها؛ كانت هناك خزانة ذات خمسة رفوف مثقلة تمامًا بالكتب والملفات، بالإضافة إلى كرسيين قديمين يشبهان كراسي الجامعة القديمة وطاولة وحاسوب وطابعة.

وعلى العكس من يوسف ساري، ذهب وجلس خلف طاولته، وتناول لفافة تبغ من العلبة الموجودة فوق الطاولة وقدمها لي.

قال لي بدون أن أسأله أي شيء: "إنني حريص على عدم التدخين أمام الطلاب في الخارج".

لم أقل شيئًا، إذ أردت أن أرى كيف سيتقبّل أنني لست من أضنة أو ترسوس وأنني لست عم إيبو.

كان كلامه صريحًا أكثر من الطلاب.

سألني: "أنت لست شرطيًا، أليس كذلك؟".

أجبته: "لا، لستُ شرطيًا".

"إذن؟".

"أنا طيار سابق". *عندما تقول إنك طيار سواء قديم أو جديد، فإنك تكسر رتابة الحديث وتبعده عن الملل بكل تأكيد.*

سألني من جديد: "وما هو عملك الآن؟". *القاعدة السابقة ليست فعالة على الدوام.*

فأجبته: "أقوم بأعمال البحث عن أشخاص يوكل إليّ البحث عنهم".

"لم أتعرف من قبل إلى محقق خاص".

"عددنا قليل أصلًا".

"البحث عن إبراهيم مهمة موكلة إليك إذن".

"عمه يوسف ساري قلق عليه لأنه لم يتواصل معه، ولم يستطع الوصول إليه لمدة أسبوع. وقد ذهبث أمس لرؤية عمه في ترسوس، وبما أن الشاب يدرس في جامعة البوسفور فكان الحل الأمثل هو أن أبدأ من هنا".

قال: "تستطيع بدايةً أن تقدم طلبًا للإدارة".

قلت: "لا أعتقد أن هناك سببًا مهمًا وراء اختفائه يا سيد كورتار، والأمر لا يتعدى طيش شباب أراد أن يفعل شيء مختلفًا فاختفى. لذلك لا أريد أن أحوّل القضية إلى قضية رسمية".

"اسمع، لقد أعجبني موقفك. ماذا كان اسمك؟".

أخبرته اسمي.

فقال: "وأنا أيضًا أفضّل يا سيد رمزي أن يُحل الموضوع ببساطة، ودون أن يتحول إلى شكل رسمي. فهو في النهاية شاب، ومن الممكن أن ينفعل نتيجة أي أمر صغير".

"فعلًا. ولكن كيف بإمكانك تقديم المساعدة لي في العثور على إبراهيم؟".

"امنحني بعض الوقت. سأسأل الطلاب دون أن أجعل الموضوع رسميًا. ودون تحويل الأمر إلى مطاردة تجعل الطلاب فضوليين لمعرفة المزيد. وسوف أبدأ

بالتحدث إلى الطلاب الذين يتواجدون في كل مكان ويعرفون أكثر من غيرهم. ثم سأتحقق إن كان قد أوقف تسجيله أو أخذ إذنًا من الجامعة".

"هو طالب جيد في دروسه بحسب معلوماتي، لذا يبدو من الغريب أنه لم يأتِ لتقديم هذا الامتحان".

"لا يمكن أن نعرف التفاصيل الآن. ومن يدري، فربما وجد شيئًا أكثر حماسية من الامتحان. تلك أمور تقع حتى أثناء الامتحانات.

ويبدو أن خاطرًا ورد إلى مخيلته، فسألني: "هل لديه حبيبة؟".

أجبته: "أخبرني عمه أنه ليست عنده حبيبة".

قال: "كيف لعمه أن يعلم بذلك؟ فالأمور هنا تتغير كل ساعة".

بدأت أحب كورتار توبراك.

قلت: "شكرًا جزيلًا". ثم أخرجت من جيبي بطاقة وكتبت خلفها رقم وسيط أيضًا، وتابعت: "أخبرني إن استجد شيء معك".

"بالتأكيد، وأنت تعال فورًا لزيارتي عندما تأتي مرة أخرى إلى الجامعة".

وأضاف بعبارة زائفة: "لقد نسيت القهوة".

ولكنني غادرت مسرعًا كي لا أضعه في موقف محرج.

***

وقفت مستندًا إلى حديد الدرج الذي يوصل إلى المقصف، ولاحظت أن عدد الأشخاص الممددين على العشب قد انخفض، إذ ارتفعت حرارة الشمس، واقترب وقت الطعام، فقلت لنفسي إنه ربما حان موعد امتحان آخر.

ورحت أفكر متسائلًا أين يمكن أن تكون الغرفة المظلمة التي لم يُحضر إبراهيم مفتاحها، ولم أطل التفكير في الأمر، لأنه من غير المجدي الوقوف أمام باب مغلق. فالباب المغلق يجب أن تفتحه، لا أن تقف أمامه وتبكي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قررتُ الذهاب في البداية إلى المنزل في منطقة حصار، ثم الذهاب للسؤال في المشافي. واستبعدتُ الذهاب إلى الشرطة، من منطلق أن الأخبار كانت ستصل إلى عمه خلال أسبوع لو أن أمرًا حصل له مع الشرطة.

وهكذا اتخذتُ طريقي نحو أعلى التل باتجاه المرأب، تاركًا خلفي الساحة العشبية، وقبل أن أبلغ نهاية التل، سمعتُ صوت فتاة قادمًا من خلفي:

"المعذرة، المعذرة، دقيقة من فضلك".

استدرتُ، فوجدت فتاة جميلة جدًا ترتدي ثوبًا طويلًا مطبوعًا برسوم الأزهار. ويبدو أن الفتاة لم تكن رياضية كثيرًا، لأنها كانت تلهث بشكل كبير. كان شعرها أسود قصيرًا، وشفتاها جميلتين وكأنها أجرت عملية تجميل. وعندما وصلَت إلى قربي وضعَت المصنف الذي تحمله بيدها على صدرها وكأنها تريد أن تحمي نفسها. وفجأة تذكرتُ الفتاة.

قالت: "أنت تبحث عن إيبو أليس كذلك؟ سمعتك بينما كنت تتحدث مع مِلثم في الكافتيريا".

عظيم، اسم الفتاة ذات الساقين البيضاوين التي قابلتها في الكافتيريا الثانية هو مِلثم إذن. وهذه الفتاة هي التي كانت تراقبنا من الطاولة الأخرى.

قلت: "نعم". وعاودتُ التساؤل من أين أعرف هذه الفتاة؟ سبق وأن رأيتُها.

بادرَت بالقول: "إيبو.." ولكنها سكتت ولم تكمل جملتها، بل أخذت تنظر إلى الأمام وإلى الخلف وكأنها كانت تتأكد من عدم وجود أحد يراقبنا.

من أين أعرف هذه الفتاة؟!

قلتُ مرة أخرى: "نعم؟"، وانتظرت فالانتظار مفيد أحيانًا.

قالت: "أريد أن أعرف لماذا تبحث عن إيبو حقًا".

فأجبتُها: "أبحث عنه نيابة عن عمه، فهو قلق جدًا لأنه غير قادر على معرفة مكانه

ولا على التواصل معه".

"هل هو غاضب جدًا منه؟".

"لا، لا أعتقد أنه غاضب منه، بل هو قلق عليه وحسب".

كنا نقف وسط التلة، فمشيتُ قليلًا نحو طرف الحائط الحجري. وكانت أغصان الكرم متدلية علينا.

قالت: "أنا فعلًا.." وتوقفت كأنها تحاول أن تتخذ قرارًا ما.

سألتها: "هل أنت صديقته؟".

فأجابت بسؤال: "ماذا ستفعل عندما تجد إيبو؟".

قلت: "سوف أطلب منه أن يتصل بعمه"، وأضفتُ جملة أخرى ظننتُ أنها قد تكون مفيدة: "وسوف أسلمه المبلغ الذي أعطاني إياه عمه".

قالت: "أنا أعرف أين هو".

"جميل. أين هو؟".

"سأخبرك، ولكن لا تخبر أحدًا أنني من قلتُ لك".

"أعدك بذلك، وأصلًا ما علاقتي بالأمر؟".

"في منزل بمنطقة أتاكوي، وقد أغلق الباب على نفسه ومعه صديق آخر من الجامعة".

"هل يدرس هناك؟".

بدأت الفتاة بالضحك، فضحكتُ معها أيضًا.

لكن ضحكة الفتاة لم تكن عادية، إذ تحولت مع مرور الوقت إلى حالة جنون. واستمرت بالضحك، ولكنها وضعت الملف أمام وجهها لتخفي ضحكتها. ثم نظرت حولها من جديد لتتأكد أن لا أحد ينظر إلينا. والحمد الله أنه لم يكن هناك أحد.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

انخفض صوت الفتاة وبدأت كتفاها ترتجفان، ولما اقتربت منها وجدتها تبكي، فأمسكت يدها ومشيت معها نحو المرأب. وبعد قليل خفت تنهداتها، ولكنها تابعت البكاء، والشمّ من خلال أنفها الصغير.

فتحتُ باب السيارة وأجلستها في المقعد الأمامي. وجلستُ بمكاني، ثم أشعلت لفافة تبغ وأعطيتها إياها، فأخذَت نفسًا واحدًا من اللفافة، وتناولَت منديلًا من أمامها ومسحت عينيها أولًا وبعد ذلك مسحت أنفها.

قالت: "أنا آسفة، لكنني أفقد السيطرة على نفسي فجأة".

قلت: "لا يوجد مشكلة، إنه أمر عادي".

فتحتُ النافذة عندما بدأت السيارة تمتلئ بدخان التبغ. وفتحت الفتاة أيضًا نافذتها ومدت يدها وأخذَت تنظر إلى الخارج. *من الجيد في هذه الأوضاع أن نبدل الموضوع قليلًا.*

قلت: "من أين أعرفكِ؟".

قالت: "لا بد أنك شاهدتني على شاشة التلفاز، فأنا عارضة أزياء".

ثم عاودَت النظر إليّ، وقالت: "سوف أعطيك العنوان، وعليك أن تجده".

مزقَت ورقة من زاوية الملف الذي كانت تحمله، وكتبَت عليها بالقلم بسرعة. ثم قامت بطي الورقة وأعطتني إياها قائلةً: "يجب أن تجده، إنني بحاجة إليه".

وعلى الفور خرجَت من السيارة وأغلقَت الباب بسرعة، وجرت مبتعدة. ولكنني لم أتمكن من رؤية الاتجاه الذي قصدَته لأن السيارة ذات الدفع حجبت عني مخرج المرأب.

إلا أنني تذكرتُ فجأة اسم الفتاة، إنه سينم، سينم كوجاميرجان. كانت عارضة أزياء، وأنا كنتُ معتادًا على مشاهدة التلفاز عندما لا أستطيع التحليق بالطائرة من طراز سيسنا، مما يعني أن الفتيات ذوات الشفاه الجميلة كنّ تحت ناظريّ لبعض الوقت.

لا أعلم إن كان من الصواب أن لا أعتبر سيئم كوجاميرجان زبونة، وأن لا أتكلم معها عن أتعابي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الخامس

فتحتُ الورقة المطوية التي أعطتني إياها سيتم، فوجدتُ فيها عنوانًا يقع بمنطقة أتاكوي مكتوبًا بتفصيلٍ، يُحدد رقم الشارع والبناء والطابق والشقة. وحفظتُه من النظرة الأولى، ثم نظرتُ إلى الوجه الخلفي للورقة لأرى إن كُتب عليه شيء لكنه كان فارغًا، فمزقتُ الورقة إلى قطع صغيرة جدًا ورميتها من النافذة: *نهاية سعيدة.*

انتهى عملي، وعلى وجه الدقة انتهى قبل أن يبدأ. فالولد موجود في منزل بمنطقة أتاكوي مع صديق له يقوم بشيء أضحك سيتم كوجاميرجان ومن ثم أبكاها. نعم هو مختفٍ منذ فترة، ونسي أن يعطي زملاءه مفتاح الغرفة المغلقة، وعلاقته مع صديقه في المنزل سيئة، ولم يأتِ إلى الامتحان النهائي، ويقيم مع صديقة في أتاكوي. وقد وجدتُ مكانه.

كل ما كان عليَّ فعله هو الذهاب إلى أتاكوي، والجلوس مع إبراهيم ساري، وإقناع شاب تصرَّف بشكل غريب بأن يتحدث مع عمه ويعتذر منه. وبعد ذلك سوف أجري مكالمة إلى ثرسوس، وربما أعيد بعض المال الذي كتبه لي لأنه كثير.

عندما وضعتُ المفتاح لأدير السيارة رن الهاتف، وكما يُقال فإن الهاتف يرن أحيانًا في وقتٍ غير ملائم، وهذا ما حدث.

فتحتُ الخط وانتظرتُ أن يجيب الطرف الآخر، وبالفعل تكلم قائلًا: "المغفل رمزي أونال..".

كان الصوت صوت شاب، ذي لهجة إسطنبولية خالصة. لكنني لم أرد عليه.

سألني الصوت الإسطنبولي: "هل ما زلت على الخط يا رمزي أونال المغفل؟".

فأجبته: "أنا ما زلت هنا".

"إذا أتيت مرة أخرى إلى جامعة البوسفور فسوف أكسر لك قدمك".

سألته: "من أنت؟".

أجابني الصوت على الطرف الآخر: "وما علاقتك بذلك يا مغفل؟".

حاولتُ أن أتذكر أصوات كل الذي قابلتهم في جامعة البوسفور، ولكنه لم يكن صوت أي منهم على ما أعتقد.

قلت: "ما مشكلتك يا أخ؟".

قال الصوت: "سوف ينالك الأذى إن رأيتك مرة أخرى في جامعة البوسفور. وكذلك الأمر إن واصلت البحث عن إيبو".

"هل أنت صديقه؟".

"ما علاقتك بذلك أيها العجوز الغبي؟ لا أريد أن أراك مرة أخرى هنا، هل فهمت؟".

وأغلق الهاتف دون أن يسمع جوابًا مني.

يبدو جليًا أن عملي لم ينتهِ بعد.

لقد تجاوزتُ العمر الذي يجعلني أحزن أو أغضب من تصرفات كهذه صادرة عن شخص لم يبلغ الخامسة والثلاثين من عمره. ولكن المهم هو إدراكي بأن القضية لم تنتهِ ولن تنتهي عند هذا الحد. فهؤلاء الكلاب لم يتصلوا بي خشية من حديثي وتواصلي مع فتيات من جامعة البوسفور، بل لأن أمرًا غير سار وقع لإبراهيم ساري. وهو أمر لا بد أنه كافٍ ليجعل إيبو يفضّل الاختفاء.

أدرتُ محرك السيارة، ولم أغير قراري؛ سوف أذهب بداية إلى منزل إيبو الواقع في منطقة حصار. وما داموا قد طلبوا مني ألا أبحث عن إيبو، فإنه يجب عليّ البحث عنه. حيث أن يوسف ساري الذي أعطاني المال قال لي ابحث عن إيبو، وهو طلب ذلك قبل هؤلاء الكلاب.

عندما مررتُ بحارس الأمن الذي أدخلني، سلمتُ عليه بحرارة، حتى يتذكرني إن أتيتُ مرة أخرى. ثم انطلقتُ نحو منطقة حصار.

توقفت عند ساحة مظلّلة بشجرة جوز كبير، إذ إنه لم يكن من الحكمة أن ألفت

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الانتباه بالبحث عن مكان أركن فيه السيارة أمام المنزل. وقبل أن أترجل من السيارة اتصلت بالمنزل مرة أخرى، ولم يجبني أحد، ففقدت الأمل. وبدأت السير في الطريق الذي يوصل إلى البوسفور وأنا أنظر إلى أرقام المنازل.

عندما وجدتُ المنزل لم أتردد أبدًا، وتصرفتُ كأنني أدخل إلى منزلي ففتحتُ الباب الحديدي ودخلتُ. كان أمامي درج ينزل إلى الأسفل، ورائحة عفن. تحسستُ الجدار بيدي في الظلام حتى وجدتُ مفتاح الضوء الآلي، ثم نزلتُ الدَّرج الضيق طابقين إلى الأسفل.

عند نهاية الدَّرج كان هناك باب واحد، وأمام الباب كان يوجد حذاء قديم. أما القفل فكان قديمًا وصدئًا، فلم يصمد دقيقة أمام السلك الذي يفتح الأبواب الذي كان معي والذي جلبته من لشبونة.

كان المنزل مكونًا من غرفتين بالإضافة إلى البهو الكبير عند المدخل، والرائحة العفنة تعبق في المكان. بدأت البحث من المطبخ، الذي كان حاله كحال أي مطبخ طالب يعيش في منزل لوحده ولم يقم بتنظيف مطبخه أبدًا. ولم يكن هناك شيء يعمل سوى الثلاجة التي تُصدر صوت خرخرة.

دخلتُ الغرفة التي في الجهة اليمنى، فوجدتها غرفة كبيرة، وليس فيها نافذة مطلة على البوسفور. ولما كان من المستحيل رؤية داخل المنزل من الخارج بسبب التضاريس المنحدرة، فقد فتحتُ النافذة بثقة.

جلستُ على السرير الموجود أمام النافذة وتأملتُ الغرفة؛ فلم ألحظ شيئًا له قيمة ما عدا الصور التي على الحائط، وهي صور يبدو أن من التقطها لم يستطع بعد تحديد نمطه. كان هناك أكثر من عشرين صورة، بينها صور لحمالين وصور لشروق الشمس وأخرى للسفن التي تعبر المضيق، بالإضافة إلى ثماني لقطات قريبة ومضاءة جدًا لصدر وساقي وكتفي وورك امرأة.

رأيتُ بجوار السرير كتبًا باللغة الإنكليزية وبعض الملفات، بحثت فيها فلم أجد شيئًا يلفت انتباهي. أما خزانة الملابس فكانت فارغة تقريبًا، باستثناء قميصين

أبيضين وبنطالًا قماشيًا مرميًا على أرضية الخزانة.

رفعتُ السرير، وانحنيتُ لأنظر تحته؛ كانت هناك حقيبة سفر مغطاة بالغبار، فأخرجتها وفتحتها وبدأت البحث داخلها.

كانت أغلب المحتويات عبارة عن غسيل؛ سراويل بيضاء وملونة وملابس رياضة وجوارب ومناشف. وفي الأسفل وجدتُ ضمن القماش الممزق للحقيبة مظروفًا وبداخله أربع صور من النوع الخادش للحياء، وكانت من بطولة سينم كوجاميرجان وسيدة لا أعرفها وبعضًا من جسد رجلٍ عارٍ. ويبدو من زاوية التصوير أن الصور التقطت من قبل الرجل صاحب الجسد.

أعدتُ الصور إلى المظروف ووضعته في جيبي. ثم أغلقتُ حقيبة السفر وأعدتها إلى مكانها. كان ما عثرتُ عليه بمثابة إكرامية تدفع المرء لمزيد من العمل، فتابعتُ التفتيش في الغرفة ذاتها وفي الغرفة الثانية، ولكنني لم أجد إكرامية أخرى.

أغلقتُ النافذة وخرجتُ بهدوء من المنزل. لم يشعر أحد بخروجي من الباب الرئيسي. جلست داخل السيارة وأشعلتُ لفافة تبغ.

انتهت مهمتي. هل انتهت فعلًا؟ كان يجب أن أتصل بيوسف ساري. هل كان عليّ حقًا الاتصال به؟ في البداية يجب أن أجد إيبو وأن أسأله سؤالًا مهمًا. ماذا كنت سوف أسأله؟ ما دخلي بعلاقة إيبو مع أصدقائه؟ هل وظفني يوسف ساري كي أجد إيبو أو كي أعرف علاقته مع أصدقائه؟

اتصلتُ بيوسف ساري، ولكنني لم أتمكن من التواصل معه لأنه كان في المطعم يأكل، فطلبتُ أن يعاود الاتصال بي عندما يعود، لأنني أحمل له أخبارًا جميلة. ثم توجهتُ إلى المنزل، ومررتُ في طريقي بالدكان وأحضرتُ الجريدة التي لم يحضرها أجير البقال، وهددته بأنه إن فعلها مرة أخرى فسوف ألغي اشتراكي معهم. رغم إدراكي أن التهديد لن ينفع معهم.

وبينما أنا اقرأ الجريدة وأشرب القهوة رن الهاتف؛ كان المتصل هو يوسف ساري.

سألني: "خيرًا يا أخي، ماذا لديك؟ هل تحدثت إليه؟ هل هو بخير؟".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فأجبته: "لا، لم أتحدث إليه بعد. ولكن لدي العنوان الذي ربما يكون فيه، وسوف أذهب إليه بعد قليل. وقد فكرت أنه من الأفضل إخبارك أولًا".

قال: "الله يسعدك يا أخي، هل يوجد رقم هاتف؟".

قلت: "من الممكن أن يكون موجودًا ولكنه ليس لديّ. لا تقلق سوف أجعله يتصل بك".

"أقبلك من عينيك. هل سلمتَ العلبة إلى أورهان".

"لا، اتصلت في الصباح ولم يجاوبني أحد".

"سامحك الله يا أخ رمزي. أرى أن تذهب وتعطي العلبة لذلك الساقط أورهان".

سألته: "ماذا عن إيبو؟".

فأجابني: "سلّم العلبة في البداية، لأن مكان إيبو أصبح معروفًا لنا".

قلت: "حسنًا، سوف أتصل بك لاحقًا".

وقبل أن يغلق الخط قال: "أقبلك من عينيك، لا تنس أن تسلّم العلبة".

نهضت وأحضرت العلبة التي تركتُها فوق المكتبة عند عودتي البارحة، ووضعتها أمامي على الطاولة. استنتجتُ أن العلبة مهمة، ما دام توصيلها إلى أورهان يلماز أهم من إيبو. ولكنني قلتُ لنفسي: "حسنًا، أنت المعلم".

عاودتُ الاتصال بالرقم الموجود على بطاقة يلماز للإنتاج الذي أعطاني إياه يوسف ساري. رن الهاتف كثيرًا وأخيرًا فتح أحدهم الخط، ولكنه لم يقل كلمة.

قلت: "مرحبًا"، ولم يأتِني أي جواب.

فقلت مرة أخرى: "أنا رمزي أونال. أريد التكلم مع أورهان يلماز".

لم أسمع صوتًا. وقلت من جديد: "هل أورهان يلماز موجود؟ أرغب بالتحدث إليه. أنا رمزي أونال". كررتُ اسمي اعتقادًا أن يوسف ساري قد يكون اتصل به مساءً،

وتحدث إليه وأخبره عني.

لم أسمع أي جواب، سوى صوت إغلاق الهاتف، فقلت لنفسي ربما تكون هناك مشكلة لذلك لم يجب أحد.

اتصلتُ مرة أخرى، ولكن لم يجب أحد رغم أن الهاتف رن عشر مرات على الأقل، فأغلقتُ الخط وعاودتُ الاتصال، ولكن لم أحصل على جواب أيضًا.

وضعتُ العلبة في حقيبة كنت محتفظًا بها منذ أيام السفر، وغادرتُ المنزل.

***

ركنتُ سيارتي في المرأب المفتوح أمام السوق التجاري. حملتُ الحقيبة وسرتُ نحو شارع سيرا سيلفيلار المحاذي لجادة الاستقلال. وكانت رائحة الشاورما تفوح فذكّرتني بأنني جائع وأن وقت طعام الغداء حان منذ فترة طويلة، ولكنني لم أستطع التوقف. وتابعتُ المسير حتى وصلتُ إلى بناء قديم كُتب على بابه يلماز للإنتاج في الطابق الخامس. ولكن باب المصعد كان مزودًا بقفل حتى لا يستعمله أي غريبٍ يأتي إلى المبنى، فاضطررتُ لصعود الدّرج حاملًا الحقيبة بيدي، وكأنني ساعٍ جاء لتحصيل بعض الأشياء من أشخاص مشتبهين.

وبعد أن تجاوزتُ محلات الخياطين ومكتب المحامي ومكتبًا لا يحمل بابه لافتة، وجدتُ نفسي أمام باب شركة يلماز للإنتاج والصوت والتسجيل. ولم يكن هناك من ضرورة للحبل الذي يفتح الأبواب، فالباب كان مفتوحًا.

نظرتُ إلى القفل أثناء دخولي، فلاحظتُ أنه غير مكسور، ولكنه كان يبدو وكأنه فُتح على عجل. فدخلتُ وأغلقتُ الباب خلفي، وحينها شعرتُ بأن الأمر ليس على ما يُرام، ولم أكن أرغب بأن يتم القبض عليّ.

تقدمتُ عبر الممر المظلم، وكانت جميع الأبواب فيه مغلقة، أما الباب الوحيد المفتوح فكان بابًا كُتب فوقه: "غرفة التسجيل. يُمنع الدخول".

كان الباب المعزول مفتوحًا، فتقدمتُ إلى الأمام ودخلت. وهنا ظهر الأمر غير

السار؛ إذ كانت توجد على الأرض جثة وسط بحيرة دماء، وكانت جثة رجل في الخامسة والثلاثين من عمره تقريبًا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل السادس

أنا مجرد محقّق محلي، ولم أكن شاهدًا على الجريمة ولست من القضاء ولا من الطب العدلي. أنا شخص يعمل وفق قوانين عفا عليها الزمن، ولا أفهم ولا أحب الأمور الرسمية. والواقع أنني أعمل في قطاع لم تتبين حدوده بعد.

لذلك كانت أول ردة فعل لي هي الهروب من هناك. ولم يخطر ببالي ولا للحظة أن أعاين الجثة أو أن أفحص الجروح أو أن أبحث عن دليل في المكان. بل حرصت على أن أتخذ أقصر طريق؛ من الغرفة إلى الممر الذي يوصل نحو الخارج. إذ لم يكن في نيتي أن أقوم بالشرح للشرطة المزودين بالأجهزة الخلوية معرفتي بأورهان يلماز من عدمها، وسبب مجيئي إلى هنا وبحثي عن إيبو، ولا أن أخوض معهم في روايات وأفلام المطاردة. فعملي مختلف عن عمل الشرطة، ومن الأفضل ألا يتقاطع عملي مع عملهم.

والحقيقة أنني لم أنظر إلى الجثة وما حولها سوى لمدة 25 ثانية. ولاحظت أن الغرفة هي غرفة صغيرة تم تحويلها من غرفة نوم إلى غرفة معزولة لتسجيل الصوت، كما رأيت لاقطي صوت مرميين على الأرض نتيجة سقوط الجثة، والتي يبدو أنها أصيبت بطلقات في المعدة.

كانت الجثة عارية، لا يسترها إلا سروال تم وضعه فوق الفخذين لإخفاء الأماكن الحساسة. أما على الأرض فرأيت علبتي مشروب مليئتين، ولكنني لم ألحظ آثار طبشور أو فوارغ طلقات مثلما يظهر لنا على التلفاز. كما لم ألحظ وجودًا لملابس الرجل، الذي كان الدم يخرج من معدته، ويتجمع قرب فخذه.

وهكذا عندما وصلتُ إلى الثانية 25 ثانية كنت قد أصبحتُ جانب الباب. فمسحت بقميصي المواضع التي من الممكن أن يكون أثري موجودًا عليها، ثم خرجتُ تاركًا الباب مفتوحًا بنفس المسافة التي كان عليها عند دخولي.

نزلتُ الدرج بسرعة كبيرة إلى الطابق السفلي الذي يوجد فيه مصفف شعر تركته حبيبته ويسمع أغنية طرب عن الهجر، ثم ألقيتُ نفسي خارج البناء. لا أعتقد أن أحدًا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رآني عندما دخلت أو عندما خرجت. فأخذت أجري في الشارع دون توقف، ولم أسمع أي صوت يناديني من خلفي. كما لم أسمع صوت سيارات الشرطة أو صفارات عناصر الحماية.

ركضت نحو المرأب والحقيبة في يدي، فدفعت أجرة الرّكن، وذهبت إلى السيارة وجلست داخلها. انتظرت قليلًا لألتقط أنفاسي، وعندما عاد تنفسي إلى وضعه الطبيعي أشعلت لفافة تبغ.

إن مقتل شخص هو خطير جدًا. ولكن أن تترك أثرًا عليك في مكان قُتل فيه شخص هو أمر أخطر. والخطير أيضًا هو إحضاري علبة من ترسوس للشخص الذي أعتقد أنه قُتل.

أنا شخص يحب بلده ولكنني لست مواطنًا قادرًا على الدخول في تحقيقات تمتد ساعات وقد لا تنتهي، أو تقديم إفادة طويلة للشرطة. وعلاوة على ذلك هناك بعض الأسئلة التي لا أعلم كيف أجيب عنها. وبالمقابل كنت أملك حرية الخروج من المكان من دون أن أقدم إفادة الشرطة لإخبارهم بما أعرف، مثلما يملك القاتل حرية أن يقتل ويخرج دون إخبار أحد بذلك. وفي النهاية قررت أن استخدم هذه الحرية.

فتحت الحقيبة وأخرجت الحزمة الملفوفة، ثم سحبت الشريط الممتد حول الورقة، وفردتها بأصابعي ثم نظرت إلى ما فيها.

أصبح الأمر الآن أكثر جدية بشكل كبير، إذ رأيت من زاوية العلبة ورقة تدلُّ على رزمة من ألف دولار، وبدا من الواضح أنه توجد في الأسفل رزم من آلاف الدولارات.

ولم أنتظر طويلًا، فأغلقت الطرف المفتوح بقطعة من الورق، ووضعت العلبة داخل الحقيبة وأغلقتها. ثم أشعلت محرك السيارة، وأقفلت الباب من الداخل، دون أن أنزل شباك المقعد الأمامي.

كان من الصعب الذهاب عبر طريق آخر في هذا الوقت من اليوم، فانطلقت نحو المنزل متجنبًا مخالفة أية إشارة مرور أو القيام بأدنى عراك مع أي سائق.

وعندما دخلت إلى المنزل بأمان، مزقت العلبة فوق طاولة الطعام على الفور،

فالأمر أصبح جديًا. كانت العلبة التي تتسع طردين من لفافات التبغ مليئة بآلاف الدولارات، ولكنني لم أهدر وقتي في عدّ النقود. ولم يطاوعني قلبي أن أطرد المرأة التي تنظف البيت أسبوعيًا فقمت بإفراغ الحمولة داخل علب المثلجات ووضعها في الطبقة الرابعة من الخزانة. ثم وضعت الصور التي أخذتها من منزل إيبو أسفل الدولارات.

تناولتُ الهاتف لأتصل بيوسف ساري، وأرى ماذا سيقول عن هذا الأمر. وعندما اتصلت بمكتب أبناء ساري الكائن في الطابق الثاني بالمركز التجاري، شعرتُ وكأنني أرى أمامي الهاتف وهو يرن في مكتب موظفة الاستقبال الذي يشبه عيادة دكتور أسنان من الدرجة الثانية. وتساءلتُ هل ما زال حسن يجلس على نفس الكرسي؟

قالت الفتاة: "مرحبًا".

قلت: "أنا رمزي أونال. صليني بالسيد يوسف".

"مرحبا سيد رمزي. السيد يوسف خرج من المكتب".

"لا.. لا تقوليها".

"نعم. خرج بعد حديثك معه فورًا".

سألتُها: "هل قال لك إلى أين ذهب؟".

فأجابَت: "لا. ولم يقل لي متى سوف يعود".

لم يكن هناك شيء أستطيع فعله، فقلتُ: "اسمعي، لقد وقع أمر مهم. لذا يجب أن أتكلم معه. عندما يعود اطلبي منه فورًا أن يتصل بي".

قالت: "حسنًا يا سيد رمزي. هل حدث شيء سيئ؟".

قلت: "لا يا عزيزتي. فقط اطلبي منه أن يتصل بي".

ماذا تقصد بقولها: شيء سيئ؟

في البداية فكرتُ بنفسي وبعدها بإبراهيم ساري. كنتُ واقعيًا لدرجة ألا أنخدع

بآلاف الدولارات الموجودة في العلبة، أما إيصال الدفع الذي أعطاني إياه يوسف ساري فكان معي.

ركبتُ سيارتي، وذهبتُ إلى فرع المصرف الذي كتب لي منه الشيك في منطقة ليفَنت. ولم أنتظر طويلًا والحمد لله، بل قاموا بتسديد المبلغ فورًا. وبدوري لم أتأخر بقبول النصيحة حول فتح حساب في المصرف، ففتحت حسابًا وأودعتُ النقود فيه، ثم خرجت مسرعًا. وقد قررت أن لا أقبل الإيصالات في عملي من الآن فصاعدًا.

ذهبتُ إلى الشارع الذي توقفت فيه، واتصلت بتِرسوس. ولكن السيد يوسف ساري لم يكن موجودًا بعد. فعاودت الاتصال بمنزل إيبو الذي في منطقة حصار ولكنه لم يجب بالتأكيد.

قلت لنفسي لأذهب إلى أتاكوي وأتحقق من الأمر شخصيًا. وكنت كثيرًا ما ذهبتُ في أوقات سابقة إلى أتاكوي لزيارة الأشخاص المرحين الذين تعرفت إليهم في رحلاتي الحقيقية بالطائرة. وهو مكان كنت أحبه لأنه مريح ويمنحني إحساسًا بالمدينة المزدحمة.

ولكنني كنت متوترًا هذه المرة، فاتخذت الطريق السريع "إي - 5" وقدتُ سيارتي بسرعة كبيرة. وهو طريق يكون مزدحمًا في مثل هذا اليوم عادة، ولكنه كان شبه فارغ، فقلت لنفسي لا بد أن الناس هاربون من حر الصيف. وهكذا تابعت القيادة دون أن أشغل المذياع.

استطعت أن أجد العنوان المكتوب الذي أعطتني إياه سيئم كوجاميرجان وكذلك رقم البناء بسهولة. ولكنني لم أتوقف بجانب البناء، بل ركنت سيارتي على بُعد شارع من المنزل.

كان المصعد في هذا البناء متاحًا للجميع، فصعدت به ورافقني طفل مع دراجته. وعندما بلغ الطابق السابع خرجتُ منه، ونزلتُ على الدرج طابقًا نحو الأسفل.

قرعتُ جرس الباب الذي يحمل الرقم المكتوب على الورقة، ولكن أحدًا لم يفتح. فأعدتُ المحاولة، وانتظرتُ طويلًا، ولم يفتح أحد أيضًا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قرعتُ الجرس من جديد بصورة مستمرة ولفترة طويلة، وأخيرًا فُتح الباب بالمقدار الذي تسمح به السلاسل المعلقة عليه.

صدر صوت فتاة من الداخل تقول: "تبًا لك".

سألتها: "هل إيبو هنا؟".

أجابَت بطريقة تدل بوضوح على أنها ثملة: "تبًا لك ولإيبو".

قلت: "افتحي الباب، لقد أرسلني عمه لأراه".

كانت الفتاة في حالة سكر، فأخذ عم إيبو نصيبه من الشتائم. إلا أن قائمة الفتاة من الشتائم لم تكن واسعة جدًا.

قلت: "أحمل مبلغًا من المال طلب مني عمه أن أوصله، افتحي الباب لأترك له المال قبل أن يأتي مدير البناء أو أي أحد آخر".

لا أعلم إن كان المال هو السبب أم التهديد بالمدير، ولكن الباب أُغلق قليلًا ورُفعت السلسة ثم فُتح تمامًا. ولم أتمهل فدخلتُ على الفور وأغلقتُ الباب.

اكتشفتُ أنني كنت مخطئًا فالبنت لم تكن ثملة بل كانت تطير، حتى أنها كانت تطير أكثر من الوضع الطبيعي. وكانت ترتدي الكثير من الملابس، أما وجهها فكان شديد البياض، وعيناها تنظران نحوي بشكل غريب. بينما كان شعرها غير مصفف وغير مرتب، أو أنها لم تستحم منذ مدة طويلة. ويبدو أن عملية فتح الباب استهلكت كل طاقتها فاستندت إلى الحائط، وسألتني: "أين هو إيبو؟".

فأجبتُها: "أنتِ قلتِ بأنه ذهب".

قالت: "تبًا لإيبو".

لم أجبها، بل تركتُها مستندة إلى الحائط وذهبت لألقي نظرة على الشقة الصغيرة، التي كانت عبارة عن صالة وغرفتين صغيرتين. ولم يكن هناك أحد غيرها في المنزل.

عرفتُ الفتاة دون أن أعرف اسمها، فهي التي كانت مع سينم كوجاميرجان في

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الصورة غير الأخلاقية التي وجدتها في منزل إيبو. أو أنها فتاة تشبهها.

حملتُ الفتاة وأدخلتها إلى الحمام ثم وضعتُ رأسها تحت الماء. لم تقل شيئًا وبقيت تحت الماء، بل وشربَت منه قليلًا.

سألتُها: "هل أنتِ الآن أفضل؟".

قالت وهي تنظر من خلال مرآة الحمام إليّ وإلى نفسها: "من أنت؟".

قلت: "هل ترغبين بشرب القهوة؟".

"لا يوجد قهوة! من أنت؟".

"أنا رمزي أونال، من أنتِ؟".

"وهل أملك اسمًا؟".

"سوف أسال سينَم".

"المسكينة سينم. المسكينة سينَم والمسكينة زوهال".

أحطت خصرها بيدي، وأمسكت يدها باليد الأخرى، ثم أجلستُها فوق إحدى الكنبات الموجودة في الصالة، وجثوت قبالتها.

عدتُ لأسألها: "أين هو إيبو يا زوهال؟".

أجابَت: "رن الهاتف وذهب إيبو". ثم انحنى رأسها.

"من الذي اتصل به؟".

"صرخ إيبو على الهاتف غاضبًا".

"إلى أين ذهب؟".

"حلّ النعاس بإيبو وذهب"، ومال رأسها للأمام، فهززت كتفيها ولكن دون نتيجة. هل ستتذكرني عندما تستيقظ؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شعرتُ بالأسف عليها وهي ممددة على الكنبة بشعرها المبلل. وفكرتُ أنه لا بد من وجود سرير في الغرفة، فحملت البنت بعناية لأضعها في السرير. وبينما كنت أفكر في اختيار الجهة التي أذهب إليها رن جرس الباب.

قلت لنفسي لا بد أن إيبو قد عاد، فتجاوزتُ الحمام بسرعة وأنا ما زلت أحمل الفتاة، ودخلت الغرفة الأكبر. ومن جديد رن الجرس، فقلت بداخلي اصبر قليلًا يا إيبو. ولكنني فكرتُ أن إيبو ينبغي أن يكون لديه مفتاح المنزل، وبالمقابل قد يكون نسي المفتاح لأنه خرج بسرعة. وأخيرًا وضعتُ الفتاة على سريرٍ غير مرتب.

عندما رن الجرس للمرة الثالثة كنت قد وصلت إليه، ولكنني لم أكن عاقلًا كما كانت زوهال الثملة، ولم أضع السلسة قبل أن أفتح الباب، بل فتحته بشكل مباشر. وما إن فعلتُ ذلك حتى دفع أحد الدبين الواقفين في الخارج الباب بقدميه وكتفه وفتحه على آخره، أما الآخر فحملني من ذراعي وألقى بي داخل الغرفة.

وعندما أصبحت على الأرض تقلبت عدة مرات دون وعي وكأنني أمارس الإيكيدو، ثم وقفت على قدمي مرة أخرى وواجهتُ خصومي، متخذًا وضعية الهجوم عليهم مرة أخرى. ولكنني فعلت شيئًا لا أدري إن كان ناقصًا أو خاطئًا أو زائدًا، وكل ما أعلمه أن رأسي اصطدم بالأرض.

ولم تكن هناك أرضية ناعمة بالطبع، فأصبح كل شيء أمامي أسود اللون. فقلتُ لنفسي إنه ينبغي عليّ ممارسة المزيد من الإيكيدو عندما أعود للحياة.

CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

الفصل السابع

يرغب الإنسان بطبيعته أن يتمدد عندما يستيقظ، ولكنني لم أتمكن من ذلك. فيداي مكبلتان للخلف، وقدماي مخدرتان، ورأسي يؤلمني. كنت مستلقيًا على جانبي، وأحسست وكأن يداي وكتفيّ سوف تنقلع من مكانها، فأرخيتُ نفسي قليلًا لأرتاح.

كان العرق يسيل على فمي وعلى أنفي، وكان الغبار يعلو جسمي الذي تخللته رائحة التبغ ورائحة الجلد الصناعي.

سمعت صوتًا يقول: "استيقظت حمولتنا".

فضحك الصوت الثاني: "ها ها ها".

عندما بدأت حواسي تعود، رأيت صورًا صغيرة مشوشة، وسمعت أصوات ضجيج من الطريق. كان الصوت عبارة عن خليط من صوت محرك وإطارات ورياح، وقد أحببتُ هذا الصوت.

بعد قليلٍ أدركتُ أنني ممددٌ على المقعد الخلفي لسيارة تسير على طريق طويل ومستقيم. وكانت رائحة الجلد الصناعي قوية فقلبت رأسي إلى الطرف الأيمن لأتخلص منها، وحينها أدركتُ أنني في سيارة من طراز رينو كما تدل الحصيرة الموجودة على الأرض.

قمتُ بمحاولتين لمعرفة مدى إحكام رباط يديّ وقدميّ، ولكن لم يكن لديّ مجال كبير للمناورة، إذ أدركتُ من خلال هذه المحاولات أنني مربوط بحبل مشدود. ثم بدأت أتذكر كيف أصبحت الدنيا سوداء حولي عند محاولتي تنفيذ حركة إيكيدو معاكسة، في مواجهة الدبين اللذين دخلا من الباب دون أن يقولا مرحبا. كما تذكرتُ زوهال.

كنتُ الآن مستلقيًا ويداي وقدماي مثبتة وكأنني ذبيحة العيد. أخذتُ أتساءل ما الذي حصل لزوهال يا ترى؟ وتمنيتُ أن تكون نائمة بملابسها الطويلة في ذلك السرير

الذي وضعتها عليه.

قررتُ أن أحاول، وبدأت أشتكي: "آه آه آه".

قال الذي يجلس في كرسي الراكب الأمامي: "حمولتنا تشتكي".

فضحك الثاني: "ها ها ها".

ولكنني تابعتُ القول: "آه يا يدي".

قال الصوت الأول" بقي القليل، بقي القليل".

كان صوتًا يشبه صوت قروي نال القليل من التعليم، من النوع الذي لا يمكن أن تجري معه حديثًا عميقًا إذا جلس بجانبك في القطار، بل يكون حديثك معه مختصرًا.

استمررت بالشكوى، فقال: "اسكت يا ولد، عليك أن تبكي الآن على الخال".

وعندما انتهى من قوله ضحك الثاني.

كانت السيارة التي أستلقي في مقعدها الخلفي تسير بسرعة ثابتة، دون أي صعود أو نزول، وكأننا في مكان خارج المدينة. فقلت لنفسي: "عظيم، سوف تكون هناك جثة أخرى في مثلث الشيطان بمدينة سكاريا". بعد ذلك أخذت السيارة منحى طويلًا ففكرتُ أننا نلتف عائدين، ثم عاودت السيارة طريقها بشكل مستقيم.

صرختُ هذه المرة لأنني حقًا اعتقدت بأن يدي قد كسرت، فقال الشخص الذي يجلس على المقعد الأمامي: "لا تبكِ يا ولد، لقد وصلنا".

تغير صوت المحرك، وتباطأت سرعة السيارة بصورة كبيرة، وأصبحتُ أسمع صوت ضجيج مرتفع وكأننا بدأنا نسير على التراب أو الحصى، بعد أن سرنا لفترة طويلة على الإسفلت.

وأخيرًا توقف المحرك عن الدوران، وفُتحت الأبواب. عندما فُتح الباب الذي خلف رأسي تمددت، فجاء شخص وسحبني مثل الشوال ورماني على الأرض، وكان أول

ما اصطدم بالتراب هو كتفي، ومن ثم وركي. كما كادت الحجارة تخترق خاسرتي العارية نتيجة انحسار القميص. أما الألم الذي كان في ذراعيّ فبدأ يشتد وكأنه آلام الأسنان.

رفعاني من ذراعيّ، وأخذا يسحباني بينما كانت قدماي تُجرّان على الأرض. فمررنا بأشجار وأراضٍ يتم تحويلها من زراعية إلى صناعية. ثم أسنداني إلى جدار بناء ما زال غير جاهز للتسليم.

جلسا متكئين على الجدار كما يجلس الحمال عندما ينتهي من نقل الأغراض إلى منزل جديد. كان أحدهما أضخم من الآخر، ويبدو خشن الملامح، وذو وجه مستدير ويدين كبيرتين. وكان هذا الدب الكبير يرتدي بدلة بيضاء بينما يرتدي الدب الصغير بدلة رمادية. أخرج الدب الصغير سيجارة، وأعطاها لصديقة.

التفت ناحيتي قوي البنية الذي كان يجلس في الكرسي الأمامي، وقد عرفته من صوته. وسألني: "هل ترغب بواحدة؟".

أومأتُ برأسي إيجابًا.

مد يده من المكان الذي يجلس فيه، وقرّب اللفافة مني، فدنوتُ برأسي كي أسهل الأمر عليه، ولكنه ودون أن يترك اللفافة ضربني بقفا يده. فصُدم رأسي بالحائط، دون أن أفقد الوعي هذه المرة.

ضحك الدب الصغير: "ها ها ها".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثامن

حلَّ المساء، وكان الألم متمكنًا من كل أطرافي، كما بدأت أشعر بالجوع. نظرت حولي فشاهدتُ أمامي ساحةً كبيرةً مخصصةً للخدمات والراحة، ولكنها غير مكتملة، وإن كان فيها الكثير من الشاحنات والسيارات والحافلات والقاطرات.

أما في طرف المكان فكان يوجد شخص جائع يدعى رمزي أونال، يعاني من التعب والاكتئاب، ويبدو كأنه غير موجود في الحياة.

لم يكن مظهري وملابسي كافيين لتشجيعي كي أخرج إلى الطريق وأطلب من إحدى الحافلات أن تقلني. ولكن لم يكن لدي حل آخر، فسيارات الأجرة لا تمر من هنا.

بدأتُ بالسير نحو الطريق العام، وأنا أفكر في أن أول عربة سوف تتوقف من أجلي يستحق سائقها حكاية محبوكة. ولم أكد أصل إلى النقطة الثانية من الحكاية في رأسي، حتى رأيت سيارة أعرفها من طراز رينو قادمة من بعيد، ومصباحها الأيمن يومض، ثم دخلَت إلى الساحة المخصصة لاستراحة السيارات، مما يعني أنها كانت آتية باتجاهي.

كان أول ما تبادر إلى ذهني هو أن الخال غير رأيه وقرر أن يحل مسألة الشخص
Telegram:@mbooks90
الذي يعرف عنه وعن مشاكله بعض الشيء من أساسها. لذا قررتُ عدم المخاطرة والتوقف عن محاولة طلب المساعدة، وأخذت أجري نحو الغابة المظلمة، ثم ألقيتُ بنفسي وسط المنطقة الأكثر كثافة بالأعشاب.

وصلَت السيارة وتوقفت على بُعد عدة أمتار خلفي، وكانت مصابيحها الأمامية ما تزال مُضاءةً. ثم سمعتُ صوت فتح الباب وإغلاقه، وشاهدتُ في ضوء المصابيح ظلًا مخيفًا للرجل الذي نزل من السيارة، وعندما أمعنتُ النظر فيه عرفتُ أنه ليس الدب الكبير.

التصقتُ بالأرض بشكل أكبر، وحبستُ أنفاسي. كان الرجل يقف إلى يميني على مسافة خطوة واحدة، وهو ينقل بصره باحثًا حوله. فازددتُ التصاقًا بالأرض دون أن

CamScanner

أحرّك حتى أجفاني.

ولكنني وصلتُ بعد تفكيرٍ إلى قناعةٍ بأن الدبين كان يلزمهما وقت أطول في حال قررا العودة والاهتمام بأمري. وعندها سمعت صوتًا يأتي من العشب، فأدرتُ رأسي نحو اليسار لكي أحميه من القطرات التي تتساقط عليه.

قلت: "إلى الطرف الآخر يا ابن بلدي".

أصيب الرجل بالذعر، وقطع السائل الذي كان ينزل من أمامه، ثم عاد لينزل بشكل متقطع. فأدركتُ أن همَّ الرجل كان البحث عن مرحاض وليس البحث عني.

وقال وهو يرفع سحاب بنطاله: "مَن هناك؟".

قلت: "لا تخف يا ابن بلدي، لا تخف".

نهضتُ واقتربتُ من الإضاءة الأمامية للسيارة لأُظهر نفسي له، وفتحتُ يدي. كان رجلًا خفيف الشعر يضع نظارات على عينيه، ويرتدي ربطة عنق توحي بأنه رب عائلة.

انسحب في البداية خطوتين للخلف، وبعد ذلك نظر إلى وجهي الذي يدل على أنني لن أسبب له أي ضرر فأحس بالراحة.

سألني: "هل هذا مكان ينام فيه الناس؟!".

"أعتذر لأنني أخفتك".

بدأ صاحب النظارات بالضحك، فابتسمتُ بدوري أيضًا.

قال: "جعلتني لا أعرف أين أفعله؛ على العشب أم عليك أم على نفسي".

قلت: "أنا آسف مرة أخرى".

ولم تخطر بذهني أي كلمات أخرى يمكن أن أقولها، فاكتفينا بالنظر إلى بعضنا البعض في ضوء المصابيح الأمامية للسيارة. ثم أخذ الرجل المبادرة، وقال: "هل ستبقى هنا ليأتي شخص آخر ويقضي حاجته عليك؟ أم أنك سوف تذهب معي؟".

أحببث الرجل بصراحة، فتكلمنا كثيرًا أثناء الطريق. أخبرني أنه مسؤول عن مؤسسة تسويق لأجهزة الحاسوب تصل مجال مسؤوليته إلى منطقة أدرنة، وأنه عائد من رحلة عمل استغرقت ثلاثة أيام، حيث قام بعمليات بيع جيدة. والواقع أنه كان ثرثارًا، ولكنه لم يعلّق أبدًا على وضعي السيئ، ولم يطرح حتى أي سؤال، بل أخبرني سبع قصص على الأقل تتحدث عن رحلاته التسويقية. ومن ناحيتي لم أحدثه عن إيبو وعن سينم وزوهال وعن الخال، واكتفيث بسماع حديثه وضحكث حتى آلمتني خدودي من الضحك.

وصلنا إلى المدينة، فنزلت في مكان توجد به سيارات أجرة، وقلت له وأنا أنزل:

"انتبه في المرات القادمة عندما تقضي حاجتك أين تفعلها".

فردّ عليّ: "ومن المهم أيضًا أن تعرف أين تنام".

أوقفت سيارة أجرة، وصعدت إليها. وعندما رأى السائق حالي، أظهر ردة فعل وكأنه ارتكب خطأ بالوقوف لي، ولكنني لم أفسح له المجال ليتمادى.

طلبث من السائق أن ينزلني قبل مسافة من المنزل في أتاكوي. كان المكان خاويًا عند منتصف الليل، وعندما بلغت البناء ترددت ما بين الدخول إليه أو عدم الدخول. وقلت لنفسي إنه ليس هناك احتمال كبير بأن أرى جثة أخرى، ولكنني تابعث المسير إلى الأمام. وبعد ثوانٍ اتخذت قراري، وعدت سريعًا نحو البناء وكأنني شخص نسي محفظته في المنزل.

استخدمث المصعد للوصول إلى الطابق المطلوب، وعندما نزلت منه لم أشاهد أحدًا في الممر. ودون أن أدق الجرس فتحت الباب بالسلك الذي يفتح الأبواب بشكل مريح، ودخلث كما لو أنني أدخل منزلي.

كانت الأنوار مضاءة، ولم يكن يوجد أحد في المنزل. أسرعت نحو الغرفة التي كانت تنام فيها زوهال، فوجدث السرير فارغًا وكل الأغطية والوسائد مرمية على الأرض.

ألقيتُ نظرة في أنحاء المنزل لمزيد من الاطمئنان، واستنتجتُ أن الدببة فتشوا المنزل قبل مغادرته، فأقمشة الكنبات ممزقة، وغطاء سيفون الحمام على الأرض، وكل ما يمكن أن يُخبأ فيه شيء تم فتحه وتمزيقه.

يبدو أن الخال كان يبحث عن إيبو ولكنه عرف بهذا المنزل لاحقًا، إلا أنه لم يجد إيبو ولم يجد البضاعة كذلك. أما زوهال فإما أنها لم تكن تملك أي معلومة، وإما أنها كانت تملك بعض المعلومات ولكنها لم تلقِ بالًا إليها.

بعد أن انتهيتُ من البحث في المنزل دخلتُ إلى الحمام، فوضعتُ رأسي في الحوض وفتحتُ الماء. ثم مسحت الدم الجاف بمناديل الحمام الورقية. وحاولت أن أستفيد من ملابس الرجال الموجودة في الغرفة التي وضعتُ فيها زوهال، ولكن القمصان والبناطيل الموجودة كانت صغيرة.

أطفأتُ الإضاءة في المنزل، وقبل خروجي منه اتصلت بيوسف ساري إلى ترسوس من الهاتف الموجود في زاوية الصالة. ورغم أن الهاتف رن طويلًا إلا أن أحدًا لم يجب.

خرجتُ من البناء مسرعًا كرجل وجد ماله وأخذه من المنزل، وانطلقتُ لأنهي هذه الرحلة. وعندما وصلتُ إلى المكان الذي ركنت فيه سيارتي، ورأيتها كما تركتُها اعتراني شعورٌ يماثل شعور العودة إلى بيتي.

ثم توجّهتُ إلى ميدان تقسيم، لأنني لم أكن واثقًا مما ينبغي فعله، ولما بلغت الميدان أحسستُ أنني مثل القَتَلة الذين يعودون إلى مكان الجريمة. قدتُ السيارة بتمهلٍ أمام مبنى شركة يلماز للإنتاج، ولكنني لم ألحظ أي أمر غير طبيعي. كانت الحركة في الجادة طبيعية جدًا وخفيفة كما هي في هذا الوقت كل يوم، فدخلتُ شارعًا فرعيًا، وابتعتُ جريدة اليوم التالي من أحد مراكز التوزيع دون أن أنزل من السيارة. وأخيرًا اتخذتُ طريقي إلى المنزل، وأنا أشعر في كل دقيقة بأن هاتف السيارة سوف يرن.

عندما وصلتُ إلى البيت، بادرتُ فورًا إلى ابتلاع قرص دواءٍ مسكّن، وطلبتُ

وجبة بيتزا. ثم دخلت إلى الحمام حتى دون أن أنظر إلى لجريدة، فاستلقيت تحت الماء بلا حراك، وكان الماء الساخن يتساقط فوقي ويرتفع ليغمر جسمي كما يغمر جزيرة وسط البحر. وكنت أشعر بالألم كلما لامس الماء مواضع الجروح والخدوش والضربات التي تعرضت لها، ولكن الألم تحول بعد ذلك إلى راحة، وعندما وصل منسوب الماء إلى كتفيّ شعرتُ بالمزيد من الارتياح.

فور انتهائي من ارتداء ملابسي رن جرس باب البناء، وعندما تأكدت أن القادم هو عامل توصيل البيتزا فتحت الباب. وبعد أن منحتُ الشاب إكرامية أصابته بالدهشة وضعتُ البيتزا بجوار الجريدة، وأخذت أتنقل بين قنوات التلفاز، وكنت أتوقف عند القنوات التي تتحدث عن الأخبار الصادمة والأكثر دموية. وأخيرًا توقفتُ عند قناة تعرض فيلمًا تركيًا كوميديًا، فكتمت الصوت، وعدت إلى الجريدة.

يبدو أن أورهان يلماز قُتل في وقت مناسب جدًا لمحرر الجريدة يمكّنه من تنسيق الصور والأخبار عنه. فكانت الأخبار التي اعتقدتُ أنها سوف تغطي مساحة صغيرة في إصدار الغد، تغطي ربع الصفحة الأولى من الجريدة.

"اغتيال مروج مخدرات وهو عارٍ".

وكان الخبر بعد أن نحذف منه التكرارات والمعلومات الزائدة كما يلي:

وجدت الشرطة تاجر المخدرات أورهان يلماز الذي كانت تراقبه منذ فترة طويلة مقتولًا بمسدس من عيار 7.65 ملم في مكتب تسجيل الأشرطة الصوتية الذي يستخدمه. وقد عثر على الجثة النادل الذي أحضر وجبتي كباب أضنة، وكانت الجثة عارية مما أشعل النقاش حول وجود جوانب جنسية للقضية. ولم يسمع أحد صوت إطلاق النار لأن الجريمة ارتُكبت داخل غرفة عازلة للصوت. وتبين أن الطلقة تعود لمسدس مرخص باسم الضحية، ولكن المسدس لم يكن موجودًا. أما بخصوص القاتل فإنه من الممكن أن يكون قد دخل وخرج دون أن يلفت أي انتباه، بسبب عدد الأشخاص الكبير الذي يدخل ويخرج من المكان. وما زال البحث جاريًا على جميع الأصعدة، ولكن لم يتم العثور على أي شيء غير قانوني في المكتب. بينما يتم أخذ إفادات بعض المغنيات اللواتي سجلن عنده الأغاني.

كان الخبر يحوي صورة أورهان المأخوذة من رخصة القيادة، وصورة أخرى تُظهر الدماء في المكان الذي قُتل فيه. ورغم أن الجثة كانت مغطاة إلا أنني لاحظتُ اختلاف وضعيتها عن الوضعية التي رأيتها فيها، إذ جرى العبث بجثة الرجل وتحريكها من مكانها.

عندما انتهيتُ من تناول وجبة البيتزا بدأ النعاس يتسلل إلى أجفاني شيئًا فشيئًا، فتوجّهتُ لأتمدّد على الكنبة، وأشاهد الخبر على قناة أثق أنها سوف تعرضه بطريقة أكثر دموية، لكنني أدركتُ عدم قدرتي على الصمود. فوضعت شريط تسجيل واخترت القناة ثم ضغطت زر التسجيل. وأخيرًا أطفأتُ الإضاءة والتلفاز، وخلدتُ إلى النوم.

أعتقد أن تأثير وجبة البيتزا كان قويًا لدرجة أنني شاهدت الطائرة من طراز دي سي 100 تصطدم بالأرض، بينما يجلس أورهان يلماز بجواري على كرسي القبطان المساعد، وكان عاريًا، رغم أن ذلك مخالف لقواعد الخطوط الجوية التركية.

الفصل التاسع

استيقظتُ في ساعات الصباح الأولى على صوت يوسف ساري، وكنتُ أسمعه ما بين النوم واليقظة وهو يقول: "أين أنت يا رمزي أونال؟ أين أنت؟ يجب أن ألتقي بك". وكان معه ثلاثون رجلًا يحملون بأيديهم القنابل والأسلحة.

صحوتُ من النوم تمامًا وأنا أسأل لنفسي لماذا يقف هذا المجنون في الخارج ويصرخ؟ لماذا لا يأتي إلى المكان الذي أنام فيه؟ ولكن يوسف ساري كان في الواقع يصرخ عبر مكبر الصوت في الهاتف.

نهضتُ من السرير، وأسرعتُ عبر الممر، بل طرتُ تقريبًا لأصل إلى الهاتف قبل أن يُغلق الخط. وعندما أمسكتُ السماعة بيدي سقط الهاتف على الأرض ولكنني تركته، وقلت:

"أنا هنا يا يوسف، أنا هنا لا تغلق الخط!".

سألني فور سماعه صوتي: "أين أنت يا رجل؟".

أجبته: "كنت نائمًا، وعندما سمعتُ صوتك نهضتُ مسرعًا".

قال: "الحمد لله، اسمع يا صديقي أنا على الطريق منذ 12 ساعة، ولم تغمض لي عين، بينما أنت مستغرق في النوم. هل أعطيته الطرد؟".

كنت صاحيًا لدرجة إدراكي أنه على دراية بالموضوع. نظرت إلى الساعة فوجدتُ أنها لم تبلغ السابعة بعد. ولم أجبه على سؤاله، بل سألته: "أين أنت؟".

قال غاضبًا: "وما علاقتك بذلك؟ هل أعطيته الطرد؟".

قلت: "انظر، يجب أن نتحدث".

"لعنك الله".

"انتبه لكلامك سيد يوسف ساري، فأنا لم أخبرك شيئًا عن الطرد، بل طلبتُ منك أن تأتي لنتكلم".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"هل نظرت إلى ما بداخله يا ساقط؟".

"لمحته فقط".

"أين أنت الآن؟".

"بل أين أنت؟ اهدأ وتوقف عن الشتم".

"لا دخل لك. أخبرني أين أنت، أو حدد مكانًا نلتقي فيه".

حسنًا... عندما يكون لدى المرء علب مثلجات من النوع الفاخر، فإنه يستطيع أن يفرض مكان اللقاء. ولكنني سألت نفسي أين يمكن أن أقابل هذا المجنون، فكل الأماكن التي في بالي والتي سوف أكون مرتاحًا فيها هي مغلقة في هذا الوقت، وبعد تفكير وجدتها.

سألته: "هل تعرف حي آكات لار؟".

فأجاب: "يستطيع حسن أن يجده".

قلت له: "يوجد قرب الحي مجمع رياضي للبلدية، سوف أنتظرك في الملعب الذي يقع في الطابق السفلي من البناء الرئيسي".

"في أي ساعة؟".

"الوصول إلى المكان سهل بالنسبة لي. حدد أنت الوقت".

توقف للحظة، أعتقد أنه كان خلالها يحاول تذكر خريطة إسطنبول.

قال: "الطريق مفتوح. نلتقي بعد نصف ساعة".

قلت: "حسنًا".

كان الملعب يقع خلف منزلي، حيث كنت أسمع الأصوات والضجيج في الليل عندما يكون هنالك مباريات أو احتفالات. وكانت أجهزة الإضاءة تعمل ليلًا حتى في حال انقطاع التيار الكهربائي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كان أمامي وقتٌ كافٍ، فوضعتُ الماء على النار لأحضّر القهوة، ثم ذهبتُ لأستحم. ويبدو أن النوم كان مفيدًا للتخفيف من ألم الكدمات والجروح والحفر التي في وجهي. شربت قهوتي وأنا أنظر عبر نافذتي إلى الشارع الفارغ الذي لم تعبره سوى سيارتين.

كان يوسف ساري في إسطنبول، ولا بد أنه عرف الخبر فأتى إلى هنا. وأتوقع أنه سوف يقول لي توضّأ وأعطني قبعتك (دلالة على نيته القيام بالقتل)، لكن وضوئي كان في حسابي بالمصرف، وقبعتي كانت في علبة المثلجات الفاخرة، فماذا سوف أعطيه؟

فكّرت بشكل جدي أن أغير مكان المال، ولكنني تخليت عن الفكرة. إذ قلت لنفسي لو أن أحدًا سيأتي إلى منزلي ويمد يده داخل الثلاجة ويبحث فيها، فحلال عليه أن يأخذ ما يجده.

بدأت أمارس حركات الإيكيدو في محاولة مني لنسيان كل شيء، وخلال عشر دقائق سخن جسمي، ولكن تركيزي لم يبلغ المقدار الذي كنت أرغب فيه. والواقع أن التمارين في النادي كانت متوقفة بسبب الصيف، وبالتالي تفرق الجميع.

عندما حان الوقت تحركت. كان بإمكاني الذهاب إلى الملعب سيرًا على الأقدام، ولكنني فكرت أنه لو حدث أي طارئ فسوف أضطر لاستخدام السيارة، لذا أخذتها.

لم تكن أي سيارة من السيارات الثلاث المركونة أمام الملعب هي السيارة من طراز مرسيدس العائدة ليوسف ساري، فتابعتُ سيري وأنا أتساءل إن كان لم يجد المكان.

كانت هناك مباراة دموية تجري، ولكن من غير مشاهدين. جلستُ على كرسي في المنصة، وكانت معالم وجهي تدل أنني شخص ليس لديه عمل، وهرب النوم من عينيه.

بدأت أشاهد الأهداف تدخل ولكنها كانت تدخل ببطء. وبعد دخول الهدف الخامس دخل يوسف ساري من الباب الواقع في الجهة العليا من الملعب. كان يبدو قلقًا، أما لباسه فكان طرازًا يظن أنه طراز أبناء إسطنبول؛ بدلة مجعدة ورقيقة، وربطة عنق،

وحذاءً ملونًا. لو كنتُ مكانه لارتديتُ ملابس أكثر راحة من أجل الطريق.

كان يحمل داخل سترة البدلة جريدة مطوية. وكان حسن يمشي على بُعد أربع خطوات خلفه، وكان يرتدي سترةً أيضًا.

لم أقف على قدميّ عند وصوله بسبب الشتائم التي ساقها لي على الهاتف، أما هو فنظر إلى الكرسي البلاستيكي الذي كان أمامي، ولم يعجبه، فنظر إلى كرسي آخر ولكنه كان أسوأ من الأول، فحول نظره إلى كرسي ثالث، ولما لم يكن باليد حيلة اضطر للجلوس عليه. وهكذا كان بيني وبينه كرسي فارغ.

قال: "أعتذر يا أخي على ما بدر مني". *أخبرتكم أن يوسف ساري يقرأ داخل الناس.*

عندما رآنا حسن نتكلم بشكل طبيعي ابتعد عنا مسافة خمسة عشر إلى عشرين مترًا، وبالطبع لم يكن يشاهد المباراة بل كان فقط ينظر إلينا.

قلت: "لا تهتم".

صاح الشبان: "ضربة جزاء".

سألني: "ماذا سيحصل الآن يا أخ؟".

فأجبته: "الأصح هو أن تحاول أن تشرح لي".

قرر الشباب بأنها ليست ضربة جزاء.

قال: "الأصح هو أنه تبا لإيبو".

قلت: "حاول أن يقلب الأمر علينا".

"نعم".

"في جامعة البوسفور".

"نعم".

"منذ متى؟".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"بدأ بسرقة القليل من البضاعة في البداية، فتجاهلت الأمر، وفكرت أنه شاب ويصرف النقود على ملذاته، فليمرح قليلًا".

جاء الهدف السادس عبر تقدم الجناح الأيسر.

سألته: "وبعد ذلك؟".

"أخبرني أنه يريد الدخول إلى جامعة البوسفور، كما لو أنه يتحدث عن فتح قناة أو الحصول على قطعة أرض. وقال إن الجامعة يأتي إليها الأغنياء، لذا وضع نصب عينيه تولي حركة المخدرات هناك. ولكن الواقع أن أي شخص فطن لن يتورط في المكان، لأنهم لن يدعوه على قيد الحياة. والسؤال هو كم يومًا يمكنه الصمود في إسطنبول؟!

قلت: "صحيح". *يجب على الإنسان أن ينتبه أين يقضي حاجته.*

"هو لم يذهب إذن الأسبوع الماضي ليعطي البضاعة إلى صاحبها. إنه يملك عقل هواة".

قام المدافع الأيسر في الفريق بقطع تسديدة بطريقة مدهشة صفق لها حتى اللاعب المسدد.

قلت: "غضب الخال".

قال: "جن جنونه". ثم انتبه إلى ما قلته فنهض على قدميه، ومرر أصابعه عبر الشبك الفاصل بيننا وبين ملعب التنس، محاولًا أن يتماسك بالرغم من أن العرق غطى وجهه.

عاود الجلوس، وقال: "من أين تعرف الخال؟".

"تعرفنا قبل فترة".

"ماذا تقول؟".

"سيقطع إيبو إربًا إن وجده. وكان سيقطعني أيضًا".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"يا ربي، وهو غاضبٌ مني كذلك، لمجرد أنني أتعامل مع ولد من العائلة. كان سيقطعني. لقد جن فعلًا على الهاتف".

"يريد بضاعته أو ماله. لو كنت مكانه لطلبتُ أحدهما أيضًا. أعتقد أنه قد يقتلني بعد كل هذا".

كاد أصغر لاعب في الملعب أن يسجل الهدف السابع من ركلة من نصف الملعب، وتدحرج مع لاعبين حاولا أن يعيقاه من كتفه.

قلت: "أخبرني الحقيقة الآن يا يوسف ساري، هل استدعيتني لأجد لك إيبو أم لأوصل المال؟".

قال: "خطرت ببالي فكرة المال بعد أن طلبت منك المجيء. إذ نظرتُ أسفل الطاولة ورأيتُ المال فقلتُ لنفسي سأعطيك إياه لتوصله. كنت أخشى أن يقتل الخال الولد إن وجده، ففكرتُ أن من الأنسب العثور على إيبو وتهريبه دون أن يشعر أحد. لذا طلبتُ منك أن تجد الولد قبل الخال".

سألته: "لماذا لم تأتِ إلى إسطنبول؟".

فأجابني: "اسمع يا أخ رمزي. أنا لم أتكلم من فراغ عندما أخبرتك أنك *الخبير* في هذه القضية، لأنك *ابن البلد* في إسطنبول وتستطيع أن تجده قبلي".

قلت: "جيد، وأكون في نفس الوقت ساعي بريد".

قال يوسف ساري: "أقسم بالله وكتابه بأن فكرة المال خطرت ببالي بعد ذلك ولم تكن في ذهني بالأساس. أنا نظرتُ أسفل الطاولة ووجدتُ المال، وأنت كنتَ عائدًا إلى إسطنبول في المساء، لذا أعطيتك المال. وفكرتُ أنه في حال لم نجد طريقة للتفاهم مع الخال، فإن أورهان يمكن أن يعطيه المال ليصمت".

"من برأيك أطلق النار على أورهان؟".

"إنه الخال بالتأكيد. أو أحد آخر له علاقة بالأمور القذرة الأخرى التي يمارسها".

أخرج الجريدة من جيبه، وأراني صورًا أفضل من التي رأيتها في المساء.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"انظر، لقد مثلوا بجثته".

كان الشعور الذي تملكنا نحن الاثنين هو الخوف الشديد، فقام كل منا بضم أصابعه والشد عليها. وبعد أن هدأت نفسي أخذتُ الجريدة منه وتفحصتها؛ كان يبدو من هذه الصورة أن الدم النازف من الجرح في القلب تجمع مع الدم النازف من منطقة الفخذ.

سألني: "من أخبرك أنهم قتلوا أورهان؟".

لم أكن أنوي إخباره أن الخال علم بالأمر مني، إذ يبدو الأمر جيدًا بالنسبة لي أن يخاف من الخال ومن احتمال قيامه بقتله.

تابع قائلًا: "عندما اتصلتَ بي وأخبرتني بأنك وجدت إيبو، أسرعتُ من فرحتي إلى زوجتي في مرسين، وهي معتادةٌ على مشاهدة التلفاز في غرفة النوم. أما عندما سمعتُ الخبر، فماذا فعلتُ؟ نهضتُ فورًا واتصلت بحسن، وجئنا إلى هنا دون أي استراحة.

"ماذا سيحدث الآن يا يوسف ساري؟".

"جد لي إيبو يا أخ رمزي، اعثر عليه قبل الخال المجنون".

"حسنًا، وماذا أفعل بالمال؟".

"من الممكن أن ينقذ المال إيبو، فهذا المبلغ هو ثمن البضاعة التي لم يأخذها الخال من إيبو. أو أن نعتذر منه بعد أن نجد إيبو ونتوسل إليه كي يعيد البضاعة. يعني المال أو البضاعة".

"أو أن يأخذ المال والبضاعة".

"أنا لا أهتم صدقًا لأمر المال ولا لأمر البضاعة، لا أهتم. فقط اعثر لي على الفتى".

وكأنما وردت إلى ذهنه فكرة براقة، فتابع:

"ليبقَ المال معك. أنت ستكون مكان أورهان، وإن لم نجد إيبو فسوف تقوم بإعطاء المال للخال".

بدأ القادمون الجدد اللعب. أما أنا فارتجفتُ لمجرد تصوُّر أنني سوف أذهب في النهاية إلى الخال. وفجأة أمسك يوسف ساري يدي، وقال: "ساعدني يا أخ رمزي. وسوف أبقى مدينًا حتى لابنك عندما يأتي".

كان أفضل هدف في هذا الملعب حتى الآن هو الهدف الذي وضعتُه.

قلت: "إذا لم يكن لدى المرء النية لركوب الأرجوحة، فإنك لن تدفعه ليركبها مهما فعلت".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل العاشر

لم يحاول يوسف ساري تعويض الهدف الذي سجّلته عليه. كان جالسًا على كرسي يفتقد إلى النظافة في منصة ملعب البلدية ويداه على ركبتيه. ساد الصمت بيننا لفترة طويلة، بينما كنتُ أحاول فهم كيف تلعب الفرق الجديدة التي نزلت إلى الملعب. كانت أعمار لاعبي الفريقين الجديدين أكبر من أعمار لاعبي الفريقين السابقين، وكانوا يلعبون بشكل عنيف. ومن الواضح أنهم بعد انتهاء المباراة سوف يذهبون إلى أعمالهم وهم متعرقون بشدة.

كنا نشاهد مباراة لأناس يلعبون بشكل عنيف ويضربون بعضهم البعض في الملعب، أما أنا والشخص الجالس بجانبي فكنا نشاهد ولا نتكلم شيئًا. بينما كان حسن ينظر إلينا من بعيد، مستعدًا للتحرك نحونا إن أحس أن الأمور ليست على ما يرام بيننا، ولكنه لم يتحرك من مكانه.

قال يوسف ساري في النهاية: "أريد أن أنام".

قلت له: "يمكنك النوم في منزلي إن أردت فهو قريب من هنا".

لم تكن ثمة مشكلة ما دمنا قد اتفقنا من سوف يأكل المثلجات.

قال: "شكرًا يا أخ".

لم أفهم من جوابه إن كان قبل العرض الذي قدمته له أم لا.

ومن جديد ساد الصمت بيني وبينه.

ثم سألني: "من أين علمت بالأمر؟".

فأجبته: "ما أهمية ذلك، فالأمر حصل وانتهى".

"لا ينتهي بسهولة يا أخ رمزي، لا ينتهي بسهولة".

نشب شجار بين اللاعبين في الملعب نتيجة ارتكاب خطأ لم يتفقوا عليه، وبعد أن تجادلوا قليلًا استأنفوا اللعب.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قال يوسف ساري بعد صمت طويل: "كم أنت رجل غريب".

قلت: "لماذا؟".

"هنالك شخص ينقل البضاعة (المخدرات) إلى إسطنبول، وأنت تجلس معه وتتكلم بهدوء. بينما يحاول ابن أخ هذا الشخص أن يسيطر على الأعمال القذرة التي في جامعة البوسفور، ورغم ذلك تبقى على موقفك وتحاول إيجاد هذا الحيوان. كما تحاول تنظيف أعمال شخص، وتحتفظ بالأموال القذرة لديك دون أن تحصل على شيء. ثم ترمي في وجهي حكايات تعود لسنوات طويلة سابقة، وتستعيد أمرًا انتهى في الماضي لتدخله في عملك. والآن تقول لي اذهب ونم في بيتي. أليس هذا غريبًا يا أخ رمزي؟".

"ما الغريب في أخذ رجل يشعر بالنعاس إلى مكان ينام فيه؟ إنك تبالغ قليلًا يا يوسف ساري. والآن ماذا سنفعل؟".

"ابحث عن إيبو. افعل ما تريد ولكن يجب أن تجد إيبو قبل الخال. فالخال أصيب بالجنون، ومن الممكن أن يجعل من الصبي عبرة".

"لم أتخلَّ عن الأمر لأنني أخذت المال أصلًا لأجد إيبو".

"إذا وجدتَ الصبي فإنني سوف أعطيك المزيد من المال".

بدا من صمتي أن موضوع المال لم يحفزني.

قلت: "أثر الولد في منزل أتاكوي، لذا أفكر بالذهاب إلى هناك. ماذا تريد أن تفعل أنت؟".

فقال: "سأحاول أن أجد الخال. وسأرجوه أن يعفو عن الصبي، كما سأحدثه عن المال، فالمبلغ كبير".

عقَّبتُ: "وأنت أيضًا يا يوسف غريب الأطوار قليلًا".

فسألني: "لماذا؟".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"لم أعد الأموال التي لديّ ولكنها تبدو كثيرة جدًا. ومثل هذا المبلغ لا يثق المرء بائتمان أخيه عليه، لكنك وثقت بشخص تعرفت إليه قبل يوم فقط".

طلبتُ منه أن يعطيني الجريدة قبل أن يغادر. ثم ذهب باتجاه السيارة وكان حسن يمشي على مسافة مترين خلفه. وأثناء ذلك تردد داخلي صوت يقول إنه مهما كانت نتيجة هذا الأمر، فإن تحولًا في حياة يوسف ساري سيحدث في مجال عمله، إذ ستكون البضاعة التي يرسلها إلى إسطنبول هي الأقمشة.

أصبح وضع المباراة على أرضية الملعب سيئًا جدًا، فحولتُ انتباهي إلى الجريدة؛ وكان هناك فارق وحيد عن خبر البارحة، وهو أن الرصاص الذي أُطلق على أورهان يلماز لم يُصب معدته فقط بل أصاب عضوه أيضًا. كما تحدث الخبر عن فرضية أن العصابات المنظمة هي خلف عملية القتل، وقد بالغ المحرر في العناوين الفرعية، وأضاف بعض البهارات الجنسية، وركز على الخلفيات السوداء لعصابات الجريمة.

كنت أرغب بسؤال المراسل والمحرر الذي كتب الخبر: هل من المعتاد تغطية الجثة بعد قتلها؟ وهو الأمر الذي تبادر إلى ذهني عند قراءة القسم الأهم من الخبر، والذي يتحدث عن عصابات الجريمة المنظمة التي تعمل بالخفاء.

بعد أن انتهيتُ من القراءة قمتُ بالتصرُّف السليم، فتركتُ الجريدة على مقعد المنصة الذي كنت أجلس عليه لكي يقرأها أي شخص يأتي بعدي. ثم مشيتُ نحو السيارة، وأنا أفكر أن أمامي أمرين يجب عليّ القيام بهما.

أنا على يقين أنني لست رجلًا غريب الأطوار مثلما قال عني يوسف ساري، إذ لو قمتُ بالإبلاغ عن عملهم في إدخال المخدرات إلى إسطنبول فإنهم سوف يجدون شخصًا آخر بدلًا مني، ولن يتغير شيء. وفي الواقع كنتُ أرغب بمعرفة تفاصيل الحكاية التي بدأت قبل سنوات طويلة.

قلتُ لنفسي: عندما أجد إيبو قبل أن يجده أحد، فإنني لن أكسب فقط المال الموجود في حسابي الآن والمال الإضافي الذي سوف يُرسل إليّ بحال عثرتُ عليه، بل سأكسب الأسبقية أيضًا.

كان الحارس الواقف عند مدخل جامعة البوسفور غير الحارس الذي كان في اليوم السابق. وبدل أن أظهر له بطاقة الخطوط الجوية التركية، أخبرتُه الحقيقة: "أريد لقاء عميد الأنشطة الطلابية كورتار توبراك".

لف يديه حول بعضهما وسألني: "هل عندك موعد؟".

أجبتُه: "لا، ولكنني سآخذ موعدًا إن شئتَ".

هز رأسه بصورة يوحي فيها بأنني واقع في ورطة، ثم أمسك هاتفه وقام بتحريك يده على الأزرار وضغط العديد من الأرقام. أظن أنه لم يجرِ مكالمة مع أحد، بل أراد إيهامي بذلك. ثم أشار لي بيده طالبًا مني الدخول.

وجدتُ طريقي إلى المرأب بسهولة هذه المرة، ولكنه كان مزدحمًا أكثر من البارحة. فتركتُ سيارتي قرب المدخل عند أسفل الطريق العشبي النازل من التلة في أقصى زاوية من المرأب. وكانت توجد أمامي سيارة دفع رباعي سوداء أكبر من التي كانت في المرة السابقة.

لاحظتُ أن الساحة العشبية المحيطة بالبناء كانت فارغة، وربما يعود السبب إلى أن الوقت كان باكرًا. حيث لم يكن هناك سوى طالبين أو ثلاثة يحملون كتبًا في أيديهم ويتجولون في الأرجاء، ويبدو أن عندهم امتحانًا اليوم.

Telegram:@mbooks90

قبل أن أذهب إلى مكتب كورتار نزلت إلى مقصف الجامعة، فوجدتُ أن رسالتي التي تركتها لإيبو والتي وضعتها على لوحة الإعلانات أمام إعلان لعرض قديم، تمت إزالتها.

بعد ذلك صعدتُ طابقًا نحو الأعلى، كانت السكرتيرة المرحة أسين تجلس إلى مكتبها بشكل جدي وتكتب شيئًا على الكمبيوتر. وقد عرفتني فورًا.

قالت لي: "أهلًا، أدين لك بفنجان قهوة".

سألتُها: "مرحبًا، هل السيد كورتار هنا؟".

لم يكن هناك حاجة لهذا السؤال، حيث كان من الواضح عبر الباب المفتوح أن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السيد كورتار توبراك غير موجود.

أجابَت: "في الأعلى. يشاهد عرضًا تدريبيًا".

انتبهتُ بعد برهة بأنني لا أعرف ما هو المقصود بالأعلى، فقالَت: "اصعد الدّرج، وسوف ترى بابًا كبيرًا مغلقًا يوصل للمسرح، حيث ستجد كورتار".

وجدتُ الباب الكبير، إنه أحد الأبواب القلية غير المقفلة التي واجهتها. فتحتُ الباب بهدوء كي لا أتسبّب بضجيج، فطالعني ظلام يغمر القاعة باستثناء منصة المسرح التي كانت مضاءة بشكل جيد جدًا. وبعد أن اعتادت عيناي على العتمة شاهدتُ شخصين يجلسان متفرقين على المقاعد، وميزتُ أحدهما من نظارته وهو كورتار توبراك، فجلستُ خلفه. بينما كان المشاهد الثاني فتاة ذات شعر طويل تجلس في الصف الأول.

أما الأشخاص على المسرح فكانوا يقومون بتدريبات جسدية أكثر من كونها تدريبات على أداء المسرحية؛ كان الشباب والفتيات يرتدون ملابس رياضية ضيقة وقصيرة، وكانوا يقفون متلامسين وينحنون محاولين الوصول إلى أقصى حدود الانحناء لأجسادهم. ولم تكن تلك الحركات تختلف كثيرًا عن حركات الإيكيدو التي نقوم بها في مرحلة الإحماء.

عندما بدأ الشاب المسؤول عن المسرح يشرح لهم الأدوار التي سوف يقومون بها نهضتُ من مكاني وذهبتُ إلى جوار كورتار توبراك، فاستغرب الرجل وارتعش من جلوسي بجواره إلى درجة لم أتخيلها، إذ كان على ما يبدو مستغرقًا في التركيز على المسرح.

لم يعرفني في البداية، فقلتُ له بصوت منخفض: "مرحبًا سيد كورتار".

ترافق كلامي مع انعكاس أضواء المسرح على مكاننا، فانبسطَت أساريره، وقال:

"أهلًا، ألست رمزي أونال؟".

قلت: "بلى".

"يبدو أنك أحببت الجامعة؟".

"طلبت مني أن أزورك أولًا عندما آتي في المرة القادمة".

كنا نتحدث بصوت منخفض جدًا وكأننا نقوم بعمل سري. وبالرغم من ذلك نظرت إلينا الفتاة التي في الصف الأول نظرة تنبيه. فتوقفنا عن الكلام لبرهة، وكان الشباب والفتيات على المسرح يقومون بحركات جديدة.

قال: "خيرًا؟ هل جئت من أجل إيبو".

قلت: "نعم ولا. إنه أمر جيد أن نتبادل الحديث".

يبدو أننا هذه المرة أزعجنا المخرج الذي كان يقف على المسرح، فهتف: "رجاءً يا سادة نحن نتدرب هنا".

ابتسمنا ابتسامة خفيفة تحمل تعبير الشعور بالذنب ونهضنا، ثم خرجنا من القاعة بهدوء كي لا نسبب المزيد من الإزعاج، فبلغنا الباب دون أن ينبهنا أحد إلى عدم إصدار الضوضاء.

عندما أصبحنا في الخارج مددت يدي لكورتار توبراك مصافحًا، وقلت له: "أعتذر لأنني أفسدت عليك مشاهدة المسرحية".

قال: "لا يا عزيزي. ليست مشكلة، فأنا كنت فقط أشاهد ماذا يفعلون، لأن نادي المسرح في جامعتنا مهم وعريق جدًا. وهم يتدربون دون أن يتذرعوا بوجود الامتحانات وما إليها، لذا فإنني أحب الشباب هنا، وأساعدهم بكل ما أوتيت من قوة".

سألته: "هل يخرج من بينهم مسرحيون لاحقًا؟".

فأجاب: "إنه أمر نادر جدًا".

نزلنا الدرج واتجهنا نحو مكتبه، وكانت أسين التي تحب الدعابات ما زالت تكتب.

قال كورتار توبراك للفتاة: "لا تفعلي مثل المرة الفائتة".

ثم دخلنا إلى المكتب، وقد علت الابتسامة وجهي ووجه الفتاة.

جلسنا في المكانين ذاتهما اللذين جلسنا فيهما المرة السابقة، وأشعل كل منا لفافة تبغ كما في المرة السابقة.

بادرني: "خيرًا، هل لديك أخبار عن إيبو؟".

قلت: "نعم ولا".

سألني: "كيف؟".

فأجبته: "أعتقد أن سبب اختفاء إيبو يهمك أيضًا ويهم الجامعة كلها".

"وكيف ذلك؟".

وضعتُ لفافة التبغ على طرف الصحن، ثم رفعتُ يدي اليمنى وكأنني أمسك بها حقنة ووجهتها نحو الوريد في معصم يدي اليسرى، ومثلت بأنني أضغط الحقنة الوهمية.

فتح عينيه على أقصاهما، وأطفأ لفافته، وأشعل لفافة أخرى فورًا. ثم نظر إلى وجهي وقال: "هل هذه مزحة؟".

تغضّنت ملامحي وأومأت رأسي سلبًا، أما هو فنهض كي يغلق الباب ولكنه تراجع عن ذلك. ثم انحنى نحوي وهمس قائلًا: "لنتحدث عن هذا الأمر في مكان آخر، فالجدران هنا رقيقة".

عندما كنا نخرج من الباب، جاءت السكرتيرة التي تحب المزاح حاملةً القهوة. وعندما رأتنا خارجين استغربت قائلة: "القهوة جاهزة".

قلت: "مرة أخرى". ومشيت خلف كورتار توبراك الذي كان يسير بسرعة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الحادي عشر

خرجنا من المبنى، وكان كورتار توبراك يسير في الأمام وأنا أسير خلفه. ألقى نظرة على المساحة العشبية المحيطة بالبناء واتجه صوب مضيق البوسفور، وكان بعض الطلاب عندما يرونه يبتسمون ويلقون السلام.

لاحظتُ من حركات جسمه، وانحناء رأسه إلى الأمام أنه كان غاضبًا بشكل واضح. ثم أسرع في سيره ودخل إلى المبنى الواقع على يسار الطريق المؤدي إلى المقصف الأكثر انفتاحًا، فدخلتُ خلفه، ورأيته يدخل أول غرفة في الممر فدخلت خلفه أيضًا.

كانت القاعة تضم الكثير من المقاعد المصفوفة، حوالي 30 مقعدًا، بالإضافة إلى طاولة للأستاذ تعود إلى خمسينات القرن الماضي. أما اللوح فكانت عليه بقايا كتابات من آخر محاضرة أُلقيت هنا، وبعض هذه الكتابات باللغة الإنكليزية. والواقع أنني أفهم الإنكليزية ولكنني لا أفهم الاقتصاد.

فتح يديه إلى أقصى مدى، وواجه القاعة قائلًا: "لقد درستُ هنا في مبنى العلوم الإدارية طوال أربع سنوات، بل ست سنوات".

جلستُ على أحد مقاعد الطلاب، أما هو فتابع: "أحب هذه الجامعة مثل أمي، لذا فإنني عندما حصلت على عمل هنا بعد التخرج لم أنم حتى الصباح من شدة الفرحة. إنني أشعر وكأنني واحد من الشباب الموجودين هنا. وأمضي جلّ وقتي في الجامعة".

انحنى على طاولة المدرّس كما لو أنه أستاذ مغرمٌ بالتدريس.

طرحتُ عليه سؤالًا لا أدري كيف خطر بذهني: "هل كنتَ عضوًا في نادي المسرح؟".

قال: "جربتُ حظي ولكنني لم أوفق، يبدو أنني كنت ممثلًا سيئًا".

نهض عن الطاولة وجلس على الكرسي المجاور لي، وقال وهو يقلد مشهد حقن الإبرة الذي شرحته لكم: "كانت كل الأمور على ما يرام صباح اليوم، حتى جئتُ

وأخبرتني إحدى أكثر مسألتين أخشاهما منذ دخولي إلى هنا".

سألته: "وما هي المسألة الأخرى؟".

فأجابني: "أن نواجه مشكلة الإجهاض مع إحدى بناتنا". وهز برأسه إشارة إلى أن حدوث ذلك كان أفضل. ثم أضاف: "اشرح لي الموضوع".

قلت: "لا أعرف التفاصيل، ولكن بحسب المعلومات التي لديّ فإن إبراهيم ساري اختار الدراسة في جامعة البوسفور اعتقادًا منه بأن السوق هنا سيكون سوقًا جيدًا له. أما نوع المخدرات التي يبيعها فلا أعلم ما هو، ولكن من المؤكد أنه ليس من النوع الذي يوضع في لفافة التبغ".

"منذ متى؟".

"أعتقد أن فترة التحضير والتخطيط امتدت شهرًا، وبدأ بالتنفيذ قبل أسبوع أو عشرة أيام".

توقف في مكانه وقال: "الله الله الله".

"ألا يُفترض عادةً أن يصل إليكم خبر مثل هذا الأمر بسرعة؟".

"نعم، يحدثُ أن يتسرب الكلام، ولكن الموضوع حديثٌ كما تقول. والواقع أنه عندما تحدث مشاكل بين الطلاب، فإن الأخبار تنتشر حتى تبلغني. أما هذا الموضوع فلم يبلغني خبر عنه، ولو أنني سمعت...".

سألته: "هل حدث ذلك من قبل؟".

"لم يحدث خلال فترة وجودي هنا، ولكنني سمعت بأنه حدث قبل خمس أو ست سنوات وكان وراءه أحد العاملين في المقصف. وقد ضربه اليساريون في منطقه حصار بشدة وطردوه إلى ضيعته، ثم أُغلقت القضية ولم تُفتح مرة أخرى. ولكن من المؤكد أن أموزًا من هذا القبيل تحدث في الخارج ولا نستطيع أن نتحدث عنها، عدا عن أن معرفة وجودها مسألة صعبة أصلا".

حرك إصبعه على المقعد وكأنه يكتب شيئًا عليه، وسألني: "من هم المتورطون بهذا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العمل غير إيبو؟".

قلت: "لا أعلم أسماءهم، ولكن من المؤكد أنه استطاع إنشاء شبكة هنا".

لم أكن أنوي أن أحدثه عن الفتيات العارضات. أو على الأقل لم أكن أنوي أن أفعل ذلك الآن.

قال: "لا بد أن هناك مصدرًا يتكل عليه هذا العاهر".

سألته: "ماذا يعني ذلك؟".

أجاب وهو يحاول لعب دور أستاذ المدرسة: "انظر، هذه الجامعة هي رمز التنوع في هذا البلد. ورغم أنهم يحاولون معاملتها بتمييز من ناحية المخصصات، إلا أنهم يحافظون على هيبتها بشكل عام. ولمعلوماتك، يوجد هنا عيون للوالي والشرطة والتعليم العالي بشكل دائم، وكأن هنالك أيدٍ خفية تحمي المكان. ورغم أن الصفوف تزداد اكتظاظًا، والكتب الجديدة لا تتوفر، وبعض المدرّسين يهربون، إلا أن عددًا أكبر من الطلاب يأتي كل عام قياسًا بالعام الذي يسبقه، وفي النهاية يبقى المظهر العام للجامعة كما هو: نجاح مستمر. هل سمعت من خلال الجرائد عن أي شيء وقع هنا وخدش سمعة الجامعة بعد جريمة عام 1971؟".

حركتُ كتفي إشارة إلى أنني لا أعرف أو لا أملك جوابًا.

"لذا فإن رغبته في القيام بأعمال من هذا القبيل تدلُّ على أحد أمرين: إما أنه إنسان مجنون ولديه مشكلة لا توجد لدى أي إنسان غيره في العالم، وإما أن لديه دعمًا يثق به في الداخل أو في الخارج. وإلا لم يكن بإمكانه فعل شيء هنا، ولن يُسمح له أصلًا أن يفعل شيئًا".

قلت لنفسي: يا إلهي! أنت كورتار توبراك عميد النشاطات الطلابية وجزء من هذه الجنة تقوم بتحليل سوق جامعة البوسفور على طريقة تحليل يوسف ساري الذي ينقل المخدرات والقماش من ترسوس، بعيدًا عن موضوع الدعم الخارجي.

سألته: "من يمكن أن يكون؟".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قال بغضب: "وما أدراني؟"، وكأنه ورد إلى ذهنه خاطر أنه هو المقصود، فتابع مؤكدًا: "ليست لدي أي فكرة عن هذا الأمر".

"سوف نعلم من هو عندما نجد إيبو. هل اتخذتَ أي خطوات بهذا الموضوع؟".

"لم أجد شيئًا خاصًا، ولم يكن عندي وقتٌ كافٍ أساسًا. ولكن الشيء الوحيد الذي أعلمه هو أنه لم يأخذ إذنًا لتبرير غيابه". ثم أضاف كما لو أنه تذكر شيئًا:

"سنعرف كل شيء عندما نجد إيبو". وازداد حماسه فجأة فقال: "اسمع، عندما عرفتُ بالموضوع قررتُ أن أخبر إدارة الجامعة، لأن هذا الأمر لا يشبه سرقة سؤال امتحان من مكتب أحد المدرّسين".

تساءلتُ بيني وبين نفسي عمّا يحصل في الساحة العشبية الموجودة في الجامعة.

أضاف كورتار توبراك: "ولكن عندها سوف ينتشر الأمر وتظهر المشاكل، سوف نرى المخدرات في أوساط الجامعة".

قلت: "والآن ماذا؟".

قال: "يمكننا أن نحل الأمر قبل أن يكبر إذا وجدنا إيبو، وأوقفناه".

وهكذا أصبح لديّ إذن زبونان يريدان أن أعثر لهما على إيبو، وهما يوسف ساري وكورتار توبراك، هذا إذا لم نأخذ سينم في الحسبان.

قلت له: "أنت لا ترغب أن ينتشر خبر هذا العمل".

قال: "إذا انتشر الخبر فإن مهنتي سوف تنتهي هنا. وهذا آخر شيء أرغب فيه".

إذا انتشر الخبر، فإنه سوف يمسني أيضًا. وأنا لا أرغب بالتحدث لساعات مع الشرطة؛ سواء الذين كُتب على ستراتهم مكافحة المخدرات أو لم يكتب.

قلت: "حسنًا، لنمنح سمعة جامعة البوسفور فرصة أخرى إذن".

قال بحماس: "نعم، يجب أن تجد إيبو".

ثم نهض، ولكنه تذكر شيئًا فقال: "لا أستطيع أن ادفع لك أتعابًا عن هذه القضية".

قلت: "لا مشكلة، ليكن هذا الأمر عمل خير لبلدنا وشعبنا".

قال: "سوف أدعوك لتناول العشاء، وسأتولى الدفع عن طعامك في النادي".

اتفقنا على أن نجتمع في مطعم جمعية خريجي جامعة البوسفور عند الساعة التاسعة. ودلّني على المكان، ثم طلب مني أن نخرج وكأننا لا نعرف بعضنا البعض ولم نلتقِ من قبل. فجلستُ بعد خروجه لمدة خمس عشرة دقيقة وأنا أنظر إلى اللوح الأسود وأفكر، فقد آن وقت التفكير بمهمتي الأساسية. يجب عليّ أن أجد زوهال أو سينم وأن أتدبر طريقة معهما ليوصلاني إلى إيبو.

خرجتُ من قاعة الصف وألقيتُ نظرة على المقصف المنفتح وعلى المقصف السياسي، فلم أجد أي شخص من الذين تعرفت عليهم سابقًا. ثم اتجهت إلى السيارة وأجّلتُ اتخاذ أي خطوة إكرامًا لمعدتي الجائعة.

عندما وصلتُ إلى سيارتي التي كانت مركونة أمام سيارة دفع رباعي سوداء كبيرة، فتحتُ الأبواب وتركتها مفتوحة لفترة وأنا أنتظر خارجًا حتى تخرج الحرارة التي بالداخل. وبعد ذلك دخلتُ إلى السيارة.

فتحتُ الهاتف وأجريتُ اتصالًا، وكانت تلك هي المرة الأولى منذ يومين التي يجيبني فيها الرقم الذي أطلبه من أول محاولة.

قالت: "مرحبًا"، كان الصوت في البداية رقيقًا ولكن سرعان ما تبدّلت طبقته. إنه صوت زوهال.

قلت: "مرحبًا زوهال".

قالت بصوت منمق وناعم: "من أنت؟".

قلت: "أنا رمزي أونال. هل تتذكرينني؟ لقد أتيتُ إلى منزلك البارحة".

"نعم، نعم، رمزي أونال الرجل الذي كان يبحث عن إيبو. أذكر أنك قلتَ لي اسمك، وأذكر وجهك".

"لم نتمكن من التحدث البارحة، فهل نستطيع التحدث اليوم؟".

"لكنني لم أعرف من تكون حضرتك". *يبدو أن اسمي لم يكن كافيا لها.*

"أنا شخص يعتقد بأنه إذا وجد إيبو فسوف يتخلص من مشاكل عديدة قد تقع على رأسه. لا تخافي مني، لا أملك أية نية سيئة".

"هل أنت الذي مددتني على السرير البارحة؟".

"نعم. هل استجمعتِ قواك قليلًا؟".

"نعم. وأذكر أنك غسلتَ رأسي أيضًا. شكرًا لك".

"لا داعي للشكر".

قالت وكأنها تذكّرت فجأة: "بالمناسبة، من الذي بعثر محتويات بيتي بالأمس؟ لقد سمعتُ ضجيجًا، ولكن كان من الصعب أن أستجمع نفسي".

قلت: "سوف أشرح لك الأمر. من الضروري أن نتحدث، فإذا كنتِ في المنزل يمكنني أن آتي إليكِ فورًا".

فكّرت قليلًا قبل أن تجيبني. أعتقد أن ما قمتُ به من تمديدها على السرير دون أن أجعلها تخلع ملابسها كان له تأثير على قرارها.

قالت: "لا، لا. لقد مللتُ من المنزل، يمكننا أن نلتقي في الخارج".

" اختاري المكان".

"تعال إلى مركز كاروسيل التجاري. سوف أنتظرك في المطعم الصيني الموجود في الطابق العلوي".

نظرتُ إلى ساعتي، كانت تشير إلى تمام الواحدة. فقلتُ لها: "حسنًا، هل يناسبكِ أن نلتقي في الساعة الواحدة والنصف؟".

اتفقنا، فأعدتُ الهاتف إلى مكانه. وقلتُ لنفسي إنني كنتُ مصيبًا عندما أجلتُ

الاستجابة لنداء جوع معدتي، فقد حان الآن الوقت المناسب.

عندما وضعت يدي على المفتاح لأدير محرك سيارتي، فُتح الباب الأمامي والخلفي للسيارة، وصعد إليها شابان مضى على إنهاء خدمتهما العسكرية وقت طويل، بينما وقف شخص في الخارج إلى يساري.

هوى الشاب الذي يجلس خلفي بكفه على رأسي، وضرب رأسي بمقود السيارة.

"عمّ تبحث هنا يا ابن الساقطة؟".

لم يكن هذا سؤالًا، بل كان عبارة عفوية. وقد تعرفتُ على الصوت؛ صوت شخص من إسطنبول ولكنه كثير الشتم.

وسرعان ما امتدت اليد ذاتها لتمسك شعري وتسحبني وتُلصق رأسي بالمقعد.

"ألم نقل لك يا حقير أن تنسى موضوع إيبو؟".

لم يكن هذا أيضًا سؤالًا، أما إجابتي فكانت المزيد من التأوه ألمًا.

قال الذي يجلس خلفي: "الآن سوف نعلّمك. أنزلوه".

فتح الشخص الموجود في الخارج الباب، وتركت شعري اليدُ التي كانت تشده. بينما ضربني الشخص الذي يجلس بجانبي على وجهي، ثم سحبني شخصان من الخارج وألقيا بي إلى الأرض. وقبل أن أستجمع ذاتي جاء شخصان وضرباني على وجهي.

كنتُ في مرأب جامعة البوسفور، بجوار السيارة ذات الدفع الرباعي التي حجبت عني رؤية الطرف الأخر، وقد اجتمع عليّ ثلاثة شبان أصغر مني بثلاثين عامًا على الأقل.

كنتُ في البداية على استعداد لتلقي اللكمات، لكنني بدلتُ رأيي بعد اللكمة الثالثة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثاني عشر

كان أول أمر ينبغي عليّ فعله هو معاودة الوقوف، إذ أنهم توقفوا عن ضربي لمدة قليلة بعد آخر لكمة، كي أشعر بما يجري حولي، وكان هذا أكبر خطأ ارتكبوه. وبينما كانوا ينظرون إلى بعضهم البعض ليحددوا من سوف يقوم بالضربة التالية، دفعت جسمي إلى الخلف منحنيًا بالاستناد على كتفي اليمين، ونهضت بقوة.

قال الصوت الذي سبق أن سمعته على الهاتف: "انظروا ماذا يستطيع أن يفعل هذا العجوز".

كنت واقفًا على قدمي، وأتبادل النظرات معهم، فرأيت أحدهم ينسحب قليلًا إلى الخلف مني.

تبين أن الذي تحدث معي على الهاتف كان هو القائد، وقد كرر مرة أخرى: "انظروا ماذا يستطيع أن يفعل هذا العجوز"، في محاولة منه لتشتيت انتباهي، ثم هجم عليّ بحركة جودو، أظن من الوضعية التي اتخذها أنها شومان أوتشي. فسدد وجه يده اليمنى نحوي ليلكمني من الأعلى لكمة عثمانية. ولكنني أجبت على حركته بحركة مناسبة، فأزحت قدمي حتى أصبح خط بصري باتجاهه، ثم أمسكت نهاية عنقه بيدي اليسرى وأحكمت أصابعي عليه. وبعد ذلك استدرت للخلف، ورفعت يدي اليمنى كما لو أنها كانت قادمة من السماء فأمسكته من تحت ذقنه، وباستخدام الجزء الذي بين الخصر وأسفل الظهر رميته أرضًا. وأنهيت الأمر بحركة ليست تمامًا مثل الحركة التي علّمنا إياها المدرب. وبصراحة فإن ما حدث ليس مفهومًا.

وقف الشخص الذي كان أمامي متعجبًا مما يراه. أما الشخص الذي كان خلفي فحاول أن يثبتني من معصمي بيديه، وصرخ على صديقه.

"اضربه!".

ولكن قبل أن يتخذ قرارًا بالهجوم رفعت يدي اليسرى التي كان يمسك بمعصمها إلى الأعلى، ومررتها فوق رأسي، واستدرت بشكل كامل نحوه، فأصابته الدهشة عندما رأى ذراعيه مفتولين.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وحينها قمت بحركة غير موجودة في الكتاب، وضربتُ ركبته بفخذي الثقيل، فسقط على الأرض وهو يقول: "يا أمي!".

أما الثالث الذي كان يقف أمامي فإنني تراجعتُ عن قرار ضربه بعد أن نظرتُ إليه. مع أنه لو كان يعلم بأن ذخيرتي من الإيكيدو قد نفذت لهاجمني بالتأكيد. فأنا أتدرب منذ سنتين فقط، ولا يتجاوز تدريبي ثلاث مرات في الأسبوع، كما أنني أتهرب من التدريب عندما يكون لدي أشغال. ولكنه لم يكن واثقًا من نفسه وغير متأكد من مدى معرفتي التدريبية، لذا قرر عدم الدخول في دائرة الخطر وبدأ يجري هاربًا نحو موقف السيارة. أعتقد أنني لن أراه من الآن وصاعدًا.

كان الشخص الذي تحدث معي على الهاتف مستلقيًا ووجهه متورم، فجثوتُ بجانبه وسحبته من صدره وقربته نحوي. وثبتُه جيدًا بحيث أنني كنتُ قادرًا على كسر أضلاعه إن قام بأدنى حركة. ولكنه لم يكن يقاوم أبدًا.

صرختُ على الشخص الثالث كما لو أنني أعطي أمرًا إلى كلب، قائلًا له: "اذهب!".

لم يتردد، وكأنه كان ينتظر هذا الأمر فابتعد بسرعة، وكنت متأكدًا بأنني لن أراه ثانية.

قلت للشخص الذي كان تحتي: "أنت!! هل تسمعني؟".

ولويتُ جسده قليلًا، فصرخ من الألم. وكررتُ الحركة فصرخ بشكل أكبر وصوت أعلى. أما في المرة الثالثة فإنه تألم كثيرًا، وعندها تخليتُ عن حركات الإيكيدو، وفعلت تمامًا مثلما فعل بي، فأمسكتهُ من شعره وسحبتُ رأسه إلى الخلف. أخذ ينظر نحوي نظرة خروف وُضعت السكين على رقبته.

سألته: "هل ستبقى عاقلًا؟".

لم يجبني. ومن الطبيعي ألا يفعل لأن السؤال كان بلا معنى.

وعندما لاحظتُ ذلك بدّلتُ السؤال.

"هل إيبو هو من أرسلك؟".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فأجابني: "لا يا معلم، لم نرَ إيبو منذ ايام".

"لماذا جئتم؟ وماذا تريدون؟".

"لا يوجد سبب يا معلم سوى أنك تبحث عن إيبو".

"وهل البحث عنه ممنوع؟!

لم يكن هذا سؤالًا أيضًا بل كان جملة عادية. فصمت دون أن يعرف ماذا يجيب.

قلت له: "هل أنتم طلاب؟".

قال: "أنا طالبٌ في مرحلة الدراسات العليا".

"والآخرين؟".

"أحدهما طالب في السنة التحضيرية، والآخر ليس طالبًا بل شخصٌ اعتاد الجلوس معنا".

"ما هي أسماؤكم؟".

"الطالب الذي في السنة التحضيرية اسمه عدنان، والثاني نناديه المزيّن".

"أنتم تبيعون البضاعة أليس كذلك؟".

حاول هذه المرة عدم الإجابة على السؤال. فانتظرته ثانيتين أو ثلاثة، ثم سحبث رأسه إلى الخلف، وبلمحة سريعة ودون توقع منه ضربث رأسه بالأرض، وحركتهُ ذهابًا وإيابًا ممرغًا أنفه على الأرض.

سألته مرة أخرى: "هل تبيعون البضاعة؟".

قال: "الفتيات يحضرن الزبون، وبعدها يأتي دورنا".

لم أسأله عن أسماء الفتيات وكأنني كنت أعرف من هنّ، بل سألته:

"أين البضاعة؟".

أجابني: "والله لا أعلم يا أخي".

حركتُ رأسي إشارة إلى تكرار السؤال.

فقال: "والله لا أعلم، لأن إيبو لا يعطينا سوى مقدار غرامين من البضاعة".

قلت: "أخبرني الحقيقة". وهززتُ رأسه مرة أخرى.

"والله لا أعلم". وعلَت وجهه علامات بداية بكاء ورجفة.

سألتُه: "هل تتعاطى؟".

فأجابني: "لا يا معلم. لا سمح الله".

قلت له: "أحسنت". وضربت رأسه بالأرض.

ثم سألته: "أخبرني، كيف يمكنني العثور على إيبو؟".

"لديه منزل في منطقة حصار".

"لا تسخر مني يا غبي، الكل يعلم عن هذا المنزل".

"والله يا معلم لا أعرف غيره"، وبدأ بالبكاء.

أراهن بأنه لا يعرف شيئًا عن منزل أتاكوي أيضًا، وبالأحرى لا يعرف شيئًا على الإطلاق.

تركتُ شعره، فوضع يده على وجهه وبدأ بالبكاء. ولكنني أمسكتُه من رأسه وأدرتُ وجهه نحوي مسددًا نظري نحو عينيه. وسألتُه: "ما هو اسمك؟".

أجاب: "فرات، فرات أوزون".

قلتُ: "اسمع يا ولدي يا فرات، لا تبكِ فأنت في عمر الشباب. بل ينبغي أن تحمد الله لأنني تعرفتُ عليك وأنت في عمر الشباب، ولأنني لستُ شرطيًا، إذ لو كنتُ كذلك لأصبحت دنياك سوداء. والآن سوف أدعك تذهب، فانطلق ولا تنظر خلفك. وإياك أن تعود إلى هذه الأعمال. وتأكّد أنك سوف تدعو لي بعد عشر سنوات، وتقول إن العجوز

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الذي كنا نريد ضربة أنقذني من هذه القذارة".

بعد هذا الكلام الجميل سقطت الحواجز بيني وبينه، فازداد بكاؤه إذ اجتمعت لديه مشاعر الهزيمة والتهيج.

وضعتُ يدي على رأسه وقلتُ له: "انهض واغسل يديك".

نهضنا على أقدامنا. ولم يكن يعرف ماذا عليه أن يفعل.

قلت له: "اذهب من هنا، ولا تقلق". فقام بأمر أصابني بالمزيد من الذهول، إذ عانق يدي بشدة وحاول أن يقبلها وكأنني أعطيته عيدية، ولكنني سحبتُ يدي فورًا، وقلت: "لا تفعل هذا يا بني. هيا اذهب".

وضع يده في جيب سرواله الجينز، وأخرج منه شيئًا ثم وضعه في يدي وقال:

"طلب إيبو أن يبقى هذا عندك، فقد ينفعك".

وبعد ذلك جرى مبتعدًا عني كما فعل أصدقاؤه. بينما فتحتُ يدي فوجدت مفتاحًا أمريكي الصنع، لونه أصفر مثل الذهب.

وهكذا قررتُ أن أولي فن التصوير مزيدًا من اهتمامي بعد الآن.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثالث عشر

رتبتُ شعري المبعثر، ونفضتُ بنطالي الملوث بالتراب، وأدخلتُ فيه قميصي، ثم أغلقتُ نوافذ السيارة. وكان المفتاح الذي سيفتح لي باب دخول عالم التصوير ما زال في يدي، فقررتُ التوجه إلى الجامعة.

دخلتُ مكتب السيد كورتار توبراك دون أي تردد، وكانت طاولة السكرتيرة فارغة، بينما كان باب مكتبه الخاص مغلقًا لأول مرة. ولكنني لم أطرق الباب بل فتحته مباشرة. كان عميد الفعاليات الطلابية في جامعة البوسفور جالسًا على كرسي الضيوف الذي جلست عليه في زيارتي الأولى إلى هنا، وكان ينظر نحو الجدار بلا هدف محدد.

بادرته بالقول وبلا سلام: "أين تقع الغرفة المعتمة المغلقة؟".

لم يفهم مقصدي في البداية، ونظر إليّ ذات نظرته إلى الجدار.

ثم تدارك نفسه وسألني: "ماذا تريد أن تفعل في الغرفة المعتمة المغلقة؟".

أجبته: "قررتُ أن أنضم إلى نادي المصورين في الجامعة".

قال: "أرجوك لا تمزح الآن"، ثم بدأ ينتبه إلى ما يجري، وأضاف: "قل لي ماذا لديك بلا مزاح".

قلت: "حسنًا، أنا آسف"، وأخذتُ أتكلم بمزيد من الجدية.

"هذا المفتاح الذي أحمله بيدي، هو غالبًا مفتاح الغرفة المعتمة الذي يبحث عنه أعضاء نادي المصورين منذ يوم اختفاء إيبو. دلّني على الطريق علّنا نجد أشياء غريبة".

قال: "المفتاح الذي كان مع إيبو؟"، كان يحاول استيعاب الأمر قليلًا وكأنني قلت له شيئًا غير سليم، فأضاف: "هذا سوف يُفرح الطلاب". وأدرك فجأة حساسية الموضوع، فقال: "لا! هل يُعقل أنه خبأها هناك؟"، وكان صوته أصبح منخفضًا عندما تذكر أن حيطان الغرفة رقيقة.

قلت: "لنرَ، دلّني على الطريق".

اتجه نحو الباب، فأوقفته بعد أن نظرتُ إلى ساعتي، إذ تذكرتُ زوهال وخشيتُ أن أتأخر عليها في حال طال موضوع الغرفة المعتمة.

"يجب أولًا أن أجري مكالمة".

أشار لي بيده وقال: "أدر الرقم 9 لتفتح الخط".

أدرتُ الرقم ببطء على الهاتف القديم البطيء ذي القرص، وسمعت صوت القرص وهو يعود إلى الوراء بعد دورانه. كان من الواضح بأن مخصصات الجامعة قليلة.

دعوت ربي أن تكون زوهال ما زالت في المنزل، وبالفعل رُفعت السماعة قبل الرنة الثانية، وردّ صوت لم أكن على ثقة بأنه صوت زوهال: "مرحبًا".

قلت: "زوهال؟".

"نعم، أنا زوهال".

"أنا رمزي أونال. سوف أتأخر قليلًا، لذا اتصلتُ لأخبركِ".

سألَتني: "إلى متى؟".

أجبتُ: "لا أعلم"، والحقيقة هي أنني فعلًا لا أعلم.

"حسنًا، سوف أتجول قليلًا في المتجر. وفي حال تناولتُ الطعام ولم تأتِ فسوف أشرب القهوة في نفس الطابق".

"اتفقنا، شكرًا لك".

قال كورتار توبراك: "أرى أنك تمرح هنا".

لم أجبه على هذه النكتة السيئة.

كانت الغرفة المعتمة واقعة في الطرف الخلفي لأحد الأبنية المطلة على منطقة العشب، وهي غرفة خدمات بلا أي نافذة. وكنتُ أنا وكورتار توبراك نتصرف وكأننا

سوف نرى شيئًا خارقًا للعادة في الداخل، ففتحتُ الباب بالمفتاح الذي كان معي، ودخلنا بهدوء.

كانت هناك رائحة قوية تشبه رائحة صيدلية، وقد اختلطت برائحة الهواء القديم المحبوس في الغرفة نتيجة عدم دخول أحد منذ أيام طويلة. فتركنا الباب مفتوحًا كي يتبدل هواء الغرفة، وأشعلنا الضوء؛ كانت الغرفة غير مرتبة، وعلى طول أحد جدرانها وُضعت طاولة رخامية ذات أربع أقدام، ويوجد عليها آلة لطباعة الصور الكبيرة وأوعية غسيل وساعة صغيرة. أما خلف هذه الطاولة فكانت تمتد أنابيب طويلة نحو مغسلة وحمام مناسب للمقعدين. وكانت العديد من الأواني مكدسة في المغسلة فوق بعضها البعض.

كما كانت هناك خزانة في زاوية الغرفة، وفوقها بطاقات صور وعلب أفلام فارغة، ومجموعة مكدسة من التجارب التي قاموا بها منذ أشهر. فقام السيد كورتار توبراك بفتح جميع العلب والصناديق ونظرنا داخلها، ولكن بعد خمس عشرة دقيقة وجدنا أن أيدينا أصبحت مغبرة، وأننا لم نتوصل إلى شيء.

قلتُ: "لا أعتقد أن مخزنهم هنا، لأنه تحت الأنظار".

سألني بتذمر: "عمَّ نبحث هنا إذن؟".

فأجبته ممازحًا: "ربما يكون كتب عنوانه وتركه في مكان ما هنا".

يبدو أن كورتار توبراك لم تعجبه الأخبار التي حملتها اليوم، ولم يرُق له مزاحي. فخرج وصفق الباب بقوة قائلًا: "أخبرني إذا وجدته".

عندما أغلق الباب دفعني صوت اهتزاز القفل للتفكير، فالمكان لا يمكن استخدامه من أجل تخزين المخدرات لفترة طويلة، لأن مفتاح الغرفة المعتمة المخصصة لنادي المصورين ينتقل من يد إلى أخرى ببساطة، وأي عضو بالنادي يستطيع الدخول إلى هنا. ولكن أهم ميزة للغرفة المعتمة هي القدرة على البقاء وحيدًا، إذ يمكن للشخص أن يدخل من أجل تحميض فيلم أو صورة فيقفل الباب خلفه ويجلس. أي أنه يمكنك أن تجلس في الغرفة المعتمة لوحدك، ولن يقول لك أحد أي شيء. وبالتالي

أستطيع أن أخمن ماذا ستفعل عندما تجلس وحيدًا في الغرفة للقيام بأعمال توزيع المخدرات.

أسندتُ ظهري إلى الباب وعاودتُ النظر داخل الغرفة، مستعرضًا بذهني كل الأشياء التي قد يستخدمها المنتسبون للنادي. وفي الواقع لم تكن هناك الكثير من الأشياء الممكنة، سوى قاعدة المغسلة. فقرفصتُ أمامها، ورأيتُ فتحة صغيرة في الجدار عند طرف القاعدة. ضغطتُ على المكان، فلم يحدث شيء. وعندما ضغطتُ بقوة أكبر توسّعت الفتحة، فأدخلت يدي وحركتُها، ولكن المكان بدا فارغًا، إلا أنه بمزيد من الحركة سمعتُ صوت أكياس بلاستيكية. وسّعتُ الفتحة أكثر محاذرًا أن أوقع المغسلة، فوجدتُ كيسًا أسود يحوي ميزان صائغ ومشرطًا وشريط فيديو بدون علبة.

قلت لنفسي إن النتيجة الآن هي 0-2 لصالحي، إذ وجدت شيئًا آخر تركه إبراهيم ساري خلفه. أعتقد أنه ليس ماهرًا بشكل كافٍ ليزيل كل آثاره.

كنتُ أعلم الغاية من استخدام الميزان، أما المشرط فلا يهمني كثيرًا، لذا أعدته دون كيس إلى المكان الذي أخذته منه. بينما أخذتُ شريط الفيديو ووضعتُه في الكيس ثم خرجت.

كنتُ أفكر في طريقي من الغرفة المعتمة إلى غرفة كورتار توبراك: هل أريه ما وجدت أم لا؟ وعندما وصلتُ لم تكن السكرتيرة موجودة، ولم يكن هو موجود أيضًا.

أخذت من مكتب السكرتيرة مظروفًا فارغًا، وكتبتُ عليه: *إلى السيد كورتار توبراك، لقد تنفسنا هواء البوسفور بشكل جيد. مع حبي، ر. أ.*

مشيتُ نحو السيارة وأنا أحمل الكيس وألوح به بطريقة تُظهر أنه لا يحوي شيئًا مهمًا، وعندما وصلت إلى السيارة لم يكن هناك أناس خلفي يريدون مهاجمتي، ويدخلون السيارة حين أدير المفتاح.

اتجهت إلى المجمع التجاري، وكان الطريق العام إي - 5 مزدحمًا هذه المرة أكثر من ازدحامه أثناء ذهابي إلى أتاكوي. فكنتُ كلما أُجبرتُ على التوقف بسبب ازدحام

الطريق ألقي نظرة على الشريط وأتحقق منه؛ كان أسود اللون وقديمًا وعليه دعاية لفيلم كاريته.

انطلاقًا من القاعدة التي أقولها بأن المعرفة قوة، فإنني لم أكن أنوي التحدث إلى زوهال قبل معرفة محتوى هذا الشريط، إضافة إلى ذلك فإن الفكرة التي كان صداها يتردد داخلي بشكل متواصل هي أن محتويات هذا الشريط الأسود قد تكون مرتبطة بالصور التي وجدتها في منزل إيبو.

ركنت السيارة في مرأب المجمع التجاري وصعدت للأعلى. أجلت نظري في المكان، وسألت رجل الأمن الذي كان لباسه هو الأكثر غرابة بين الآخرين.

"أخي، الله يعطيك العافية. هل يوجد هنا مصور، أو محل للفيديو أو مكان تُباع فيه آلات التصوير؟".

أشار بيده قائلًا: "هناك. هذا المحل افتتح حديثًا".

سرتُ نحو المكان الذي أشار له، فوصلت إلى دكان صغير ودخلته. حيث وجدتُ فتاة جميلة يبدو أنها لم تكمل دراستها ما بعد المرحلة الثانوية بل أسست عملًا خاصًا لتحل مشاكلها. فأخرجتُ من محفظتي أكبر عملة ورقية متداولة، ووضعتُها فوق الشريط على الطاولة.

قلت: "هلّا تساعدينني يا سيدتي؟ أرغب في مشاهدة شريط الفيديو هذا بالداخل إذا كان بالإمكان".

قربتُ النقود والشريط منها، وأضفت: "الأمر مهم وعاجل".

قالت: "يوجد لدينا جهاز عرض، ولكن لا يوجد لدينا مكان مغلق". ومدت يدها باتجاه النقود ولكن ليس كثيرًا، لأنها لم تكن متأكدةً إن كانت تستحقها أم لا.

نظرتُ إلى الاتجاه الذي أشارت إليه، فرأيتُ قاعدة مزينة بصور علامة تجارية لنوع مشهور من البطاريات، وعليها جهاز عرض وفوقه شاشة قياس 64 بوصة. كانت الشاشة تعرض فيلمًا تعريفيًا بتلك البطاريات بشكل متقطع.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قلت: "حسنًا، يمكننا أن نديره هنا".

قمنا بتغيير اتجاه القاعدة لتصبح الشاشة معاكسة للباب، ثم أدخلت الشريط في الجهاز. ولم يكن لديّ خيار سوى مشاهدة الشريط واقفًا.

وضعت المال في جيب السيدة الصغيرة قبل أن أبدأ، وقلت لها: "شكرًا لك، أستطيع تدبر أمري الآن".

ضغطت مفتاح التشغيل، فظهر على الشاشة فيلم كاراتيه سخيف. وكان أول مشهد هو عراك سخيف بين محاربين، فكتمت الصوت كي لا يسمعه أي شخص قد يدخل المكان.

تعاركوا وتعاركوا، وسالت صلصة البندورة من فم أحدهم، ولكن العراك استمر، فمددت يدي وضغطت على مفتاح التسريع.

أصبح الفيلم سريعًا ومضحكًا، وكانت الفتاة صاحبة المتجر تنظر إليّ خلسة، بينما كنت أنظر إلى الممثلين اليابانيين الصلع الذين يرتدون ملابس القتال ويتقاتلون ويضربون بعضهم بشكل مسرّع وبدون توقف. ثم توقف هذا المشهد، وانتقل الفيلم فجأة إلى مشهد عجوز ضعيف يتحدث مع فتاة نحيلة، وعاد بعدها إلى مشهد صلصة البندورة.

وعلى حين غرة أدركت أن مشاهدة فيلم إباحي للهواة بطريقة مسرّعة هو أمر مضحك، فأوقفت العرض عندما لاحظت بأن المحتوى والصوت والألوان تبدّلت، وأعدت الشريط إلى الوراء. وخلال ذلك ألقيت نظرة على الفتاة فرأيتها تتحدث مع بعض الشبان في الخارج غير منتبهة إلى الشاشة.

كان الشريط يعرض مشاهد لإبراهيم ساري وسينم بوضعية لا أستطيع شرحها، وكانت آلة التصوير غير ثابتة بل تهتز قليلًا لتظهر السجادة التي على الأرض.

كان إيبو وسينم موجودين في منزل لا يشبه منزل حصار أو منزل أتاكوي، ومن الواضح أن التصوير كان يتم في صالة المنزل، والأحداث تجري على كنبة ثلاثية ذات قماش مخطط. وكان الثنائي ينظران بين الفينة والأخرى نحو آلة التصوير.

انتقلَت الصورة إلى شاشة كبيرة تعرض فيلمًا إباحيًا أيضًا، ثم اهتزَّت آلة التصوير وعاد المشهد إلى الكنبة، ولكن المفاجأة أن شريكة إيبو تبدَّلت وأصبحت زوهال التي سوف أقابلها في الأعلى تاليًا. والحقيقة أن سينَم كانت تجيد استخدام آلة التصوير أفضل من زوهال.

شعرتُ بأنني تعرقتُ قليلًا وبأن وجهي اكتسى بالحمرة، ولم يكن ذلك بسبب ما شاهدتُه، بل من احتمال ظهور علامات التوتر في عينيّ عندما أنظر إلى عيني الفتاة التي سأقابلها بعد قليل. يا للمستوى المنحط!

استمر الفيلم، وكانت النهاية تقترب. وفجأة انتهى كما بدأ، وأخذ الشريط يدور إلى الوراء نحو بدايته. نظرتُ قليلًا إلى الشاشة المليئة بالنقاط ثم أوقفتُ دوران الشريط وسحبتُه من الجهاز. ودون أن ألتفت حولي أعدتُ القاعدة إلى الوضعية التي كانت عليها. أما الفتاة فكانت تنظر إليّ مرتاحةً بعدما أدركت أنني أنهيت عملي، فسلمتُ عليها وخرجتُ بسرعة.

كنتُ أسير وكأن الجميع ينظرون نحوي، وأحسست كما لو أنني خرجتُ للتو من إحدى دور عرض الأفلام الرخيصة. فتلفتُ حولي حتى رأيتُ محلًا يبيع مستلزمات رياضية، ذهبتُ إليه واشتريتُ أرخص حقيبة لديه ووضعتُ بداخلها الشريط.

دخلتُ إلى الحمام الموجود في الطابق ذاته، وغسلتُ وجهي حتى أكون جاهزًا لمقابلة زوهال. ثم مشيتُ نحو الدرج المتحرك، وكنتُ أضحك في سري.

وفي الواقع لم أكن قد تأخرتُ كثيرًا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الرابع عشر

كان الجو في الخارج رطبًا، ولكن مكيفات المجمع التجاري الكبيرة هزمت هذه الرطوبة فلم أشعر بها في الداخل. سرتُ باتجاه المطعم الصيني الذي كان على نمط مطاعم الوجبات السريعة ويقع في طابق مزدحم ومليء بالمطاعم، وكانتَ الحقيبة على ظهري.

أدركتُ من بعيد بأنني لم أتأخر فعلًا، لأن زوهال كانت جالسة ولم تنهِ طعامها بعد. وعندما اقتربتُ منها وجدتُها بحالٍ أفضل من الحال الذي كانت عليه البارحة، وكان شعرها متدليًا على جانبي وجهها مثل فتيات الإعلان عن الشامبو. وكانت ترتدي كنزة بيضاء ذات كمين طويلين، أما الكنزة نفسها فكانت قصيرةً وتُظهر بطنها. وكذلك كان ما ترتديه تحت الطاولة قصيرًا. ولكنني قررتُ قبل وصولي إليها بخطوتين أن أبعد عن تفكيري ما شاهدتُه قبل قليل في الطابق الأسفل.

وقفتُ أمام الطاولة، فلم تنتبه لوجودي إلا بعد فترةٍ من وصولي إلى جوارها، وحين انتبهَت انتظرتني كي أبدأ بالكلام.

قلت: "مرحبا"، وجلستُ واضعًا الحقيبة أمام قدمي.

أجابَت: "مرحبا، لم تتأخر".

قلت: "على المرء أن يلتزم بالمحطات".

فعلّقت: "أمي تقول هذا الكلام أيضًا".

أصبح الجو يميل لأن يكون دراميًا، فقلت: "تبدين بخير".

قالت: "إيه".

تابعتُ: "مررت بمنزلك البارحة مساء، ولم تكوني موجودة".

"قمتُ بترتيب المنزل، ثم شعرتُ بالملل فخرجت لأسير في الخارج قليلًا".

ضغطَت بالشوكة البلاستيك على طرف الطاولة. فانكسرت الشوكة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قلت: "انتظري، سوف أحضر لك شوكة جديدة".

قالت: "اكتفيتُ من الطعام. هل يمكنك أن تحضر لي فنجان قهوة؟".

والواقع أنني فقدتُ الشهوة إلى الطعام أيضًا عندما اقتربتُ من طاولة الطلبات، ويبدو أن السبب هو المشاهد التي رأيتها في الطابق الأسفل والتي لم أكن معتادًا عليها. فأحضرت كوبين من القهوة وعدت لأجلس قبالتها. ولكننا لم نعرف من أين نبدأ بالكلام.

أخرجتُ علبة التبغ، فقالت: "التدخين هنا ممنوع".

قلت: "ولكن هؤلاء يدخنون هنا"، وأشرتُ إلى أشخاص يجلسون على بُعد طاولتين خلفنا ويدخنون.

جاءت امرأة تعمل في المطعم وسألَت زوهال إن كانت تريد أن تبقي الطعام، فأشارت لها زوهال بيدها أن تأخذه. وكنا لانزال حائرَين من أين نبدأ بالكلام، فتناولتُ رشفة من القهوة. وكانت سيئة جدًا.

سألتني: "هل شكرتك؟"، بينما كانت تحرك إصبعها حول كوب القهوة البلاستيكي.

أجبتُها: "نعم، شكرتِني". وهكذا دخلنا في الحديث وكان هذا أمرًا جيدًا.

قالت: "كان يوم البارحة شديد السوء".

قلت: "تحدث عادة أشياء مثل هذه، إنه أمر طبيعي".

"لم أفعل أشياء سخيفة كثيرًا، أليس كذلك؟".

أجبتُ: "لا".

أخذَت رشفة من قهوتها، وقالت: "سيئة. تعال لنجلس في مكان نستطيع التدخين فيه". فنهضنا وذهبنا إلى مقهى يوجد على طاولاته صحون خاصة بلفافات التبغ.

كانت التنورة القصيرة التي ترتديها جميلة جدًا بالفعل، ومن الواضح أن الذين

ينظرون إلينا كانوا موافقين على ذلك. ولكنني أحسست وكأنني عجوز يسير مع فتاة صغيرة مقابل المال.

كانت القهوة تُقدَّم هنا في فناجين، وكان الدخان يعلو طاولتنا. فقررت أن أنهي فترة الدفء التي سادت، وقلت فجأة: "يجب أن أجد إيبو".

قالت: "إذا وجدته أنا فإنه شيء جيد"، ولم أفهم تمامًا إن كان كلامها يعني بأنها لا تعرف مكانه.

قلت: "ألم يعد أبدًا؟".

لم تجب، بل شربَت رشفةً من القهوة وأخذَت سحبةً من لفافتها.

"ألم يتصل بك؟".

أخذَت سحبةً ثانية من لفافتها.

"هل كنتما معًا قبل أسبوع أو عشرة أيام؟".

شربَت رشفةً من القهوة.

قلت: "اسمعي يا زوهال يجب أن أجد إيبو. هذا من أجله، وربما من أجلك أيضًا".

رفعَت رأسها ونظرَت إلى وجهي، وقالت: "من أنت أساسًا؟ ولماذا تهتم بنا وتتبعنا عن قرب؟".

كنتُ أنا من يشرب القهوة ويدخن هذه المرة، ولكنني لم أجعل الأمر يطول فقلتُ:

"أنا محقق خاص، رغم أن تعريفي في القانون مختلف. وقد وظفني عمه لأجده، وهذا هو هدفي الوحيد".

نظرَت إلى وجهي، فقررتُ أن أتخطى الحدود قليلًا.

"أثناء بحثي عن إيبو علمتُ بعض الأشياء، ومن بينها أن إيبو يقوم بأشياء لا ينبغي القيام بها، وذلك في أماكن لا ينبغي أن تجري فيها أيضًا. وأعتقد أن الخيط

من هنا، لذا لا بد من العثور عليه للتقليل من النتائج".

كانت تنظر إليّ وكأنها تريد اتخاذ قرار ما، فوسّعتُ الحدود أكثر.

قلت: "مما أدركه فإنني أستطيع أن أساعدكِ أيضًا".

كان من الواضح بأنها سوف تتخذ قرارها عما قريب، وأن دفعها إلى الحدود قد أثمر.

قلت: "لا يهمني ماذا تتعاطين، وإذا أردت أن تتخلصي منه فيمكنك الاستعانة بأحد الأطباء. ولكن الشرطة والمحكمة يغضبون عادة من البائع، وفي الواقع فإنني أغضب منه أيضًا".

قالت بصوت منخفض: "لقد أجبرني على ذلك"، وانحنى رأسها نحو الطاولة فتدلى شعرها ليخفي وجهها، وبدأت كتفاها ترتجفان.

قلت: "أعلم ذلك، ولهذا أردت مساعدتك بدون أن يؤنبني ضميري".

كنت متأكدًا أن المرأتين اللتين تنظران إلينا منذ فترة وهما تتسوقان قد خطر ببالهما أن الفتاة حامل من الرجل، وأنهما تقولان عني: سافل عجوز أخبر الفتاة أنه لا يستطيع التخلي عن زوجته، وأنه دمر الفتاة.

قررّت الفتاة ماذا تريد، فمسحت عينيها ورفعت رأسها. ولمحتُ بريقًا خفيفًا في نظرتها عندما قالت: "يوجد معه شريط فيديو. إن أعطيتني وعدًا بأن تحضره لي عندما تجده فسأخبرك بمكانه".

قلت: "اتفقنا"، وحركت الكيس بقدمي للتأكد من أنه ما زال موجودًا.

وتابعتُ: "ولكنّ هناك أمورًا أخرى لديّ فضول لمعرفتها".

نظرَت إلى وجهي وقالت: "مثل ماذا؟". كانت الفتاة مفاوضة جيدة.

قلت: "متى بدأ؟ وكيف؟".

أخذَت لفافة من علبتي التي كانت على الطاولة.

"ما علاقة هذا ببحثك عن إيبو".

قلت: "الموضوع تجاوز إيبو قليلًا. هل قرأت الجريدة اليوم؟".

"لا. ماذا يوجد فيها؟".

أجبتُها: "قُتل شخص البارحة، وهذا الشخص له علاقة بالعمل الذي يربطك مع إيبو".

قالَت بوجه مليء بالخوف والكره والفضول: "ما هذا يا ربي!! هل وصل الأمر إلى هذا الحد؟ من فعلها؟".

قلت: "لا أعلم، هذا عمل الشرطة. ولكنني أظن أن الفاعل مرتبط بالعمل الذي تتشاركينه مع إيبو وسينم".

عندما سمعَت اسم سينَم تبدّل وجهها، وسرعان ما أدركَت الواقع، فقالت:

" سينَم هي من أعطتك عنوان منزلي إذن؟".

قلت: "نعم، يبدو أن العثور على إيبو هو أمر تريده أيضًا".

قالت زوهال: "ألم تفكر لماذا لم تأتِ بنفسها معك؟".

قلت: "إما أنها خجلت أو خافت".

سألَت بحدة: "من أين عرفت بأنها خجلت؟".

أجبتُها: "وجدتُ الصور وشاهدتها".

قالت من بين أسنانها: "حقير"، فلم أعتقد أنها تقصدني.

قلت لها: "انظري يا زوهال، دعينا لا نكرر الاستماع إلى النغمة نفسها. أخبرتُك أنني عرفتُ أثناء البحث عن إيبو أشياء لم أكن أريد معرفتها عنكم، وأعتقد أن الوقت حان لنتكلم بصراحة".

سألتني: "ماذا تريد مني أن أخبرك؟".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أجبتُ: "اشرحي لي الأمر منذ البداية".

قالت مستجمعةً ذاتها: "حسنًا".

نهضت السيدتان اللتان كانتا تراقباننا بعد استراحة قصيرة من التسوق. أما زوهال فأشارت إلى النادل، وطلبت قهوة. ولكنها لم تنتظر وصول القهوة لتشعل لفافة تبغ.

بدأت كلامها: "في الواقع..."، وحينها جاء النادل بالقهوة، "هي حكاية بسيطة؛ تعرفتُ على سيتم في الجامعة بداية هذا العام. وكانت عارضة أزياء، فبدأتُ بالخروج معها، إذ فكرتُ أنه قد يأتيني عرضٌ أيضًا من خلالها وبشكل غير مباشر".

كانت تتحدث بإيقاع ثابت، ونظرها لا يحيد عن الزاوية ما بين فنجان قهوتي وطرف الطاولة من جهتي.

"ثم ظهر لنا إيبو. كنا فرخَين صغيرين، أما هو فكان في السنة الثالثة. وكان مصورًا وولدًا لطيفًا من ترسوس. فبدأنا نحن الثلاثة بالخروج والتنزه سويًا، ومع مرور الوقت تقرّبنا أكثر فأكثر من بعضنا البعض. لم أفهم كيف حدث هذا.."، ترددت في إخباري، ثم قرّرت: "أخذنا نقوم ثلاثتنا بأشياء في السرير".

حان وقت بعض الصمت.

"خرجتُ مع سينم مرتين أو ثلاث بلباس أبيض وقمنا بعروض في الحفلات، وفكّرتُ أنه ليس عليّ إفساد اللعبة. والحقيقة أن إيبو كان عنده منجم من المال، الكثير من المال، أكثر مما يريده المرء. وكنا نعلم أن عائلته لم تكن غنية إلى هذا الحد، لذا تساءلنا في البداية من أين تأتي كل هذه الأموال".

كان يوسف ساري والخال يمررون البضاعة من خلاله.

"ثم أخبرَنا بأنه يرغب بالتقاط صور لنا ونحن عراة، وقال إنها من أجل الفن لا أكثر. أعتقد أنه كان يعتبر نفسه فلاحًا بين الطلاب الآخرين وأراد الظهور. وفي النهاية قبلتُ فالتقط لي صورًا من دون أن يُظهر وجهي أو ملامحي. وادّعى أنه سوف يقيم معرضًا، فأصبح منزله في حصار معرضًا للصور يستقبل عددًا محدودًا من الزوار".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتابعت: "أصبحنا نخرج سويًا أكثر، رغم أنه كان يمكننا الابتعاد في أي وقت نرغبه. ولكننا كنا نأخذ البضاعة بالمجان تقريبًا، في حين كان يعطي البضاعة للناس ويأخذ منهم الكثير من المال. وفي أحد الأيام قمنا بالطيران".

بدأت آلة التصوير الفوري تظهر.

"أخذ يلتقط صورًا لنا في السرير قائلًا إنها لمجرد الاحتفاظ بها بشكل شخصي. كنا في وضعيات مضحكة ونضحك من تصرفاتنا الجنونية دون وعي، وكأن عقولنا ليست في مكانها. وبعد ذلك قال لنا: تعالوا نصور فيلم لنا ونشاهده. وهكذا بدأنا بالصور وانتقلنا إلى الفيديو".

ثم ضحكت. ولكنني لم أشاركها الضحك.

"في اليوم التالي غضبتُ كثيرًا بسبب ما فعلته، وأدركتُ الخطأ الذي ارتكبته، فمزقت الصور، وحذفنا سوية الفيديو. وكان إيبو يُظهر خجله مما فعل، أو هذا ما ظننته. ولكنني كنت مخطئة، إذ وردني اتصال غريب ذات يوم".

"اتصال من أورهان يلماز؟".

"كان ساقطًا حقيرًا، بدأ حديثه بالقول إن دوري في الفيلم كان جيدًا. فجننت من كلامه لأنني اعتقدت بأننا حذفناه".

"ماذا أراد؟".

"لا شيء، كان يشرح تفاصيل عن الفيلم وكأنه مجرم يتحدث عبر الهاتف. ورغم أنني أغلقت الخط أكثر من مرة، إلا أنه كان يعاود الاتصال. فقد استغلّ نقطة ضعفي، وأنني لن يكون بمقدوري إخبار أي أحد. وبعد ذلك ذهبت إلى إيبو، فقال إنه ربما لم يحذف الفيلم بشكل جيد لأن رأسه كان متخمًا بالمخدر، وإن الشريط انتقل بطريقة ما إلى يد أورهان. كانت قصة يحاول من خلالها أن يضحك عليّ. كما قال إن وضعه صعب أيضًا".

"قال إن عمه ينبغي ألا يعلم بموضوع الفيلم..".

"نعم، أصابه ما كان يفعله بالآخرين. وأخبرنا أن مصدر المخدرات التي كنا نستخدمها هو أورهان يلماز، وأننا إذا فعلنا ما يطلبه فسوف يحذف الفيلم، وقد صدقناه. والواقع أن صوت أورهان يلماز الذي تحدثت معه على الهاتف لم يكن صوت تاجر مخدرات، بل مجرد صوت شخص غبي لا أكثر".

لم أتعرف عليه بشكل شخصي.

"ودون مقاومة قمنا بما يريده".

كانت الفتاتان تتوليان إقناع الزبون، بينما يقوم فرات وعدنان بتوصيل الطلب.

"كان الأمر سهلًا في الحقيقة، إذ كنا نعيش حياتنا الطبيعية. وكان إيبو دائمًا في الجوار، يُحضر لنا الكثير من البضاعة، ونحن نقدمها للراغبين، بهذه البساطة. وكان يخبرنا لمن يجب أن نعطي ولمن يجب ألا نعطي، ونحن ننفذ".

قلت: "على سبيل المثال؛ مِلتَم من قسم علم الاجتماع".

نظرت إلى وجهي وتعابيرها تتساءل: هل تعرف هذا أيضًا.

"الفتاة المسكينة، لم تكن قد تورطت كثيرًا، وكان بإمكانها الانسحاب. ولكن إيبو لم يكن أساسًا ليملك الكثير من الزبائن لولا الفتيات".

"هل استمر أورهان يلماز بالاتصال بكم؟".

"انقطع لفترة ومن ثم عاود الاتصال. كان الحقير يستمتع، وعرض عليّ أن أكون مغنية. كان يتحدث دائمًا باستهزاء".

"كيف كانت علاقتكم مع إيبو؟".

"كنا مرغمتين على التحدث إليه، ولكن ليس كما كنا من قبل. وذات يوم ...".

علت وجهها تكشيرة، وتابعَت: "قبل عشرة أيام كان خائفًا جدًا، وكأن العمل الذي نقوم به سوف يُفتضح. بدا مثل المجنون، وهو يقول بشكل مستمر: كيف هذا؟ كيف هذا؟ ولم يكن يجرؤ على البقاء وحيدًا لشدة خوفه. لم أره هكذا أبدًا. ثم أخذني إلى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أتاكوي وحبسني معه هناك".

"ألم تخرجا قط؟".

"لا. لم يخرج، ولم يسمح لي بالخروج. وكانت سينم هي الوحيدة التي تعرف بمكاننا، ولكنها لم تكن تتصل أو تسأل عنا. لقد دفن نفسه في المنزل إلى أن اتصلت سينم البارحة..".

هنا ظهر لنا رمزي أونال.

الفصل الخامس عشر

لا يعجبني عادةً أن أكون موجودًا عند بدء الأمور، بل أحب أن أتابع الأمور التي بدأت سابقًا. وأحاول ألا أتدخل في مجرى التاريخ ما استطعت، فالحياة سيئة أصلًا من دون أن أتدخل فيها.

قالت زوهال: "عندما اتصلت سيئم البارحة جُنّ جنون إيبو".

بدأت الآن تنظر في عينيّ وهي تتكلم، في المقهى الذي يسمح بالتدخين داخل المجمع التجاري، ثم أضافت: "أخذ يصرخ: ماذا فعلتِ يا غبية؟ ماذا فعلتِ؟ ما الذي سيحدث الآن؟ ثم بدأ يتوسل إليها: أرجوكِ لا تفعلي هذا، رجاءً لا تذهبي. يمكننا أن نحل الأمر سويةً، نعم نستطيع حل الأمر... وفجأة خرج من المنزل".

ويبدو أنها انتبهَت إلى أمر مخيف، فقالت: "دقيقة، دقيقة".

ابتسمتُ وكأنني توصلت معها إلى نفس النتيجة، ولكنني لم أتوصل إلى أي نتيجة فعلًا.

قالت: "أخشى أن تكون سيئم هي التي قامت...".

قلت: "أتمنى ألا تكون قد فعلت ذلك".

قالت: "يا إلهي، هل نحن مجانين؟".

وفجأة رأيتُ ما لم تصدقه عيناي، إذ جاء رجل وجلس على بُعد أربع طاولات خلف زوهال، رجلٌ تعرفت عليه يوم أمس ولست سعيدًا بمعرفته.

أما زوهال فاستمرت بالحديث الذي بدأته: "ذهب إلى سيئم في منطقة ليفَنت، وبقيتُ وحيدة في المنزل. وبالرغم من محبتي لها إلا أنني كنتُ أغار منها. وهو قال إنه ذاهب ليساعدها وتركني. فخفتُ من البقاء وحدي، وأخرجتُ الكثير من البضاعة السائلة وتعاطيتها. والحقيقة أن المرء عندما يبقى وحيدًا يطير أكثر".

كان يجب أن أصدق ما أراه، إذ لا يمكن نسيان الدب الصغير بسهولة. والرجل الذي

يجلس بعيدًا وينظر إلينا هو الدب الصغير.

"بعد ذلك جئتُ أنت، ولا أذكر تمامًا ماذا قلتُ لك. ثم وجدتُ نفسي على السرير".

في الواقع كنت مرتاحًا بداخلي، لأن أمورًا غريبة مثل هذه لا تحدث عادةً، فلم أحاول أن أغضب زوهال. أما الدب الصغير فقد أحضر بعض المثلجات، والمهم أن الدب الكبير لم يكن إلى جواره.

قالت زوهال: "هذا كل شيء، هل لديك سؤال؟".

سألتها: "ما هو عنوان سينَم في ليفَنت؟".

فبادرَتني: "أين الشريط؟".

أجبتُ بسؤال: "هل الشريط مهم جدًا الآن؟".

قالت: "نعم. مادام ذلك المريض أورهان يلماز قد مات فمن الممكن أن يقع الشريط بيد شخص آخر. هذا الشريط ينقذني".

قلتُ لنفسي: ليتني لم أرَ ما رأيتُ، ولم أسمع ما سمعتُ يا ابنتي المسكينة. هل إنقاذكِ بهذه البساطة؟

سألتها: "ماذا عن إيبو؟".

قالت: "ليذهب إلى الجحيم بوجهه الذي يشبه وجه الشيطان".

كان الدب الصغير يأكل المثلجات وكأنه طفل صغير، ولكن دون أن يحيد بصره عنّا.

قلت: "ماذا عن الجامعة؟".

قالت: "سوف أحاول الانتقال إلى جامعة في إزمير. لكنّ الشريط مهم".

"لماذا لا تذهبين بنفسك وتطلبينه؟".

أجابَت: "توجد خمس إشارات تعجب على الأقل. انسَ الأمر وكفى أسئلة".

كنتُ قد توقفتُ منذ فترة طويلة عن محاكمة الناس على ما فعلوه وعلى ما لم

يفعلوه، وعلى ما سيفعلونه، أو لماذا لن يفعلوه. وهو ما طبقته الآن رغم أن في داخلي إشارتي استفهام.

شبك الدب الصغير يديه ببعضهما البعض، وكان ما يزال ينظر إلينا.

قلتُ لها: "أخبريني بالعنوان".

فسألتني: "هل اتفقنا؟".

أجبتُها: "أعتقد أننا بلغنا ما هو أكثر من الاتفاق".

قالت: "هل لديك ورقة؟".

قلت: "لا داعي للورقة".

أخبرَتني اسم الشارع ورقم البناء، وكنت أعرف الشارع فحفظتُ الرقم. ثم استندت إلى الخلف، وشبكت يديّ وراء رأسي.

سألتُها: "هل تمارسين الرياضة؟".

لو أنني سألتُها لأي حزب تصوتين في الانتخابات، لما كانت نظرتُها أكثر استغرابًا. ولو أنني طلبتُ منها أن ترافقني في رحلة بالغابة، لما اختلفَت تعابير وجهها.

أعتقد أنني سعدت قليلًا بتفوقي، فدفعتُ الحقيبة الرياضية نحوها بقدمي. وقلتُ لها: "هذه فرصتك كي تبدأي من جديد. خذي الحقيبة وضعي فيها ما تريدين، ولكن لا تنسي أبدًا شريط الفيديو".

لم تستوعب الأمر في البداية، ولكنها كانت فتاة ذكية كفاية لتفهم بعد قليل، فتوسّعَت عيناها وهمّت بالنهوض لمعانقتي، إلا أنني أشرتُ إليها بيدي أن تجلس، إذ لم أكن أريد أن ينتبه الدب الصغير للحقيبة.

قالت: "أنت رجل رائع".

قلت: "صحيح، حتى أنني لا أصدق نفسي أحيانًا".

قالت: "شكرًا لك، شكرًا لك، شكرًا لك. كيف أستطيع أن أشكرك فعلًا؟".

أحسستُ بمزيدٍ من الضعف، فقلتُ: "تعالي لتناول الطعام معي هذا المساء، ولكننا لن نكون وحيدَين".

قالت: "مع الأسف"، فأصابتني الدهشة، "أستطيع أن أبقى معك في المكان الذي تريده والزمان الذي تريده".

لم أمنح المرأتين المتعبتَين من التسوق فرصة لتكونا على حق.

قلت: "لا تجعليني أشعر بالأسف على دعوة بسيطة مع شخص يمكن أن يقدم لك العون في موضوع الدراسة. موعد العشاء هو الساعة التاسعة، في جمعية خريجي جامعة البوسفور. خذي الحقيبة واذهبي".

نهضَت دون أن تقول أي كلمة، وحتى دون سلام، مكتفية بابتسامة على وجهها قبل أن تأخذ حقيبتها وتذهب. ولم أتبعها بنظري، بل أبقيتُ عينيّ على الدب الصغير الذي نهض من مكانه وتوجه نحوي.

قال: "الخال يريد أن يراك".

هو يعرف الكلام إذن، ولكنني لم أخبره بهذا الاكتشاف طبعًا.

سألته: "كيف عثرتَ عليّ؟".

أجاب: "الخال ذكي. لقد وضع عيونًا حولك، متوقعًا أنك قد تفعل أي شيء، فأبقى أحد الرجال عند باب الفتاة، لأنه إما أن تأتي أنت إلى الفتاة، أو تأتي الفتاة إليك، وحينها... ها ها ها"، أخذ يضحك، وكنتُ مشتاقًا للضحك بصراحة.

سألته: "ماذا يريد مني"، مع أنني كنت أخمن ماذا يريد.

ضحك "ها ها ها"، وقال: "اسأله بنفسك".

رفعتُ يدي وطلبتُ الحساب، وكان الدب الصغير ينظر إليّ بتعابير مستفهمة إن كنت سأدفع ثمن المثلجات التي تناولها أيضًا، فهززت له برأسي.

خرجنا من المجمع التجاري، وتوجهنا مشيًا على الأقدام نحو السيارة من طراز رينو التي كانت واقفة في مكان لا يخطر ببال مواطن عادي أن يوقفها فيه، ثم ذهبنا إلى الطريق الساحلي. لم نتبادل الحديث أنا والدب الصغير، الذي لم يمانع أن أدخن، فأخذت أتأمل الساحل. وبعد أن سرنا مسافة صغيرة توقفنا خلف سيارة من طراز مرسيدس تنتظر على جانب الشارع.

توجهت إلى السيارة دون أن أنتظر التوجيه من الدب الكبير والدب الصغير، ولم يكن الزجاج يسمح برؤية داخل السيارة، فنظرتُ إلى الدب الصغير الذي كان يسير خلفي بخطوتين وابتسمتُ ثم فتحتُ الباب. كان الخال وحيدًا، وكانت خطوط البدلة التي يرتديها أعرض من خطوط البدلة السابقة، كما أنه استبدل حذاءه الأبيض بحذاء رياضي أسود، أما السبحة فاستبدلها بحمالة مفاتيح فارغة.

كانت سيارة الخال من طراز مرسيدس مريحة من الداخل، على الأقل أكثر من تلك السيارة من طراز رينو. وقد جلس الخال بجواري صامتًا، واكتفى بإشارة من رأسه إلى السائق في المقعد الأمامي، فانطلقت بنا السيارة ببطء، وكانت السيارة الأخرى تسير خلفنا.

قلت: "أخبرتُك أنني لا أريد رؤيتك مرة أخرى، ولكن هذه المرة لا ذنب لي".

سألني بعد أن قطعنا إشارتين حمراوين: "هل وجدتَ إيبو؟".

أجبتُه: "اقتربتُ من ذلك".

انتظر الضوء الأحمر قبل أن يتكلم، ثم قال: "تحدثتُ مع يوسف ساري، إنه يصفك بالرجل الجسور".

نقرتُ على ركبتي بأصابعي، وانتظرتُ قليلًا، فقال: "أريد الطرد المرسل إلى أورهان يلماز والموجود عندك".

سألتُه: "ماذا سيحدث لإيبو؟".

أجاب: "سوف أخرج حتى الحمارة أم إيبو من الموضوع"، كان خبرًا طيبًا.

"أين يوسف ساري؟".

قال: "يقيم في فندق بمنطقة قاضي كوي، حيث ينتظر الأخبار". ثم قام بمبادرة لتبديد جو الكراهية، فأخرج ورقة من جيبه وقرأ منها رقم غرفة يوسف ساري وعنوان الفندق.

انتظرته هذه المرة أيضًا ليضيف شيئًا آخر، ولكن الخال كان صبورًا بقدري على أقل تقدير. فقلتُ: "الطرد أمره سهل، إذ ليست لي حاجة فيه. ولكن هنالك أمران آخران".

قال: "تكلّم"، كان الخال يعرف كيف يفاوض.

"إسطنبول مدينة كبيرة وجامعة البوسفور صغيرة". لم أكن أعلم هل الأمر الذي طلبته هو أمر مهم بالنسبة إليه أم لا، ولكنه تحدث بكافة التفاصيل، ودافعتُ عن كل كلمة في الموضوع.

نظر إلى وجهي، وكانت تلك هي المرة الأولى التي يفعلها منذ ركبت السيارة، ومن ثم عاد لينظر إلى الأمام. وفي تلك الأثناء استدارت السيارة لتسير على الإشارات الحمراء في نفس الطريق الذي أتينا منه، ولم أنتبه إن كان أشار إلى السائق بذلك أم لم يُشر. بينما كانت السيارة الأخرى ما تزال تسير خلفنا.

قال: "سوف أخرج حتى الحمارة أم جامعة البوسفور من الموضوع"، وكان هذا خبرًا أجمل من سابقه.

انتظرته ليهضم الكلام الذي قاله، فأضاف: "لا فائدة من قرف جامعة البوسفور".

انتظرتُ هذه المرة قليلًا كي أهضم الانتصار الذي حققته، ثم سألته: "من أين عرفت بمنزل أتاكوي؟".

ضحك قائلًا: "هذا منزلي، غبي"، لم أفهم من المقصود بالغبي؛ أنا أم هو.

قال: "استأجرتُ هذا المنزل له كي يفعل ما يريد مع نسائه، وعندما اختفى لم يخطر ببالي أنه سوف يختبأ هناك، ولكن عندما فطنتُ للأمر طلبتُ منهم الذهاب

لإحضارك".

قلت: "سؤال آخر، هل تعرف الشخص الذي قتل أورهان يلماز؟" واستدركت: "أو الأشخاص؟".

أجابني: "لا أعلم، ولست مهتمًا للأمر. وحتى لو كنت أعرف لما أخبرتك، فحدود صداقتنا لا تتجاوز ذلك".

لم أتوقف كثيرًا عند هذه النقطة، ولما كنا نعود من نفس الطريق ونقف على كل الإشارات الضوئية، فقد بدّلت رأيي بموضوع صداقتنا.

قال وهو يبتسم: "لا أعرف أحدًا عديم الموهبة إلى درجة أن يطلق النار على أورهان بمسدس أورهان. كما أن الصحفيين أساؤوا فهم قضية إطلاق النار".

لم أكن أنوي معرفة الحقيقة، فقلت: "لديّ رجاء أخير".

قال: "تكلّم".

قلت: "بعد أن أنزل من السيارة أريد أن أمزح مع أحد صبيانك، بدون إساءة".

أجاب: "سعدتُ بلقائك يا رمزي أونال. وعندما أرغب في رؤيتك مستقبلًا فسوف أتصل بك بشكل مباشر، فلا داعي لأن أرسل صبياني".

كان من الواضح أن تلك هي أفضل طريقة ممكنة يعتذر فيها الخال مني، فلم أتوقف عند الأمر. وهكذا جلسنا صامتين، حيثُ كنت أتنفس بعمق، بينما كان نظر الخال موجهًا للأمام نحو الطريق الذي بدأ يتحرك بسرعة.

توقفت السيارة قبالة المكان الذي أخذني منه، وتوقفت السيارة من طراز رينو خلفنا تمامًا. ونزل الدب الكبير منها ونظر حول المكان مستطلعًا.

قلتُ له وأنا أنزل من السيارة: "لا تقلق بخصوص الطرد، فقد وضعته في مكان عميق يستلزم وقتًا طويلًا لإخراجه منه".

قال من دون أن ينظر إليّ: "لديّ مال يكفيني لتأمين الخبز".

نزلتُ وأغلقتُ الباب، ثم مشيت باتجاه الدب الكبير، ومددت يدي له كأنني أودعه، فمدّ يده أيضًا بلا انتباه، وأمسك كفي مسلّمًا. وحينها ألقيتُ يدي اليسرى على معصمه، وضغطتُ يده إلى الأسفل بحركة لم تُطبّق سابقًا في الجودو، فتوشحت عيناه من شدة الألم، ولكنه تحامل على نفسه، فلم يدخل معي في عراك ولم يتقبّل أن يركع على ركبتيه تحت أنظار الخال. وفي النهاية كُسر معصمه دون أن يلاحظ ذلك أحد الذين يعبرون الطريق، أو هذا ما كنتُ أتمناه على الأقل.

تركته وأوقفت سيارة أجرة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل السادس عشر

عندما وصلتُ إلى مرأب السيارات كنت مترددًا بشأن الاتصال بيوسف ساري من عدمه، فقد اتصلتُ به آخر مرة بعد أن وجدتُ شيئًا ولكنه لم يعاود الاتصال بي. لذا قررت أن أذهب دون إخبار مسبق، فلم أتصل.

بعد خروجي من المرأب توقفت عند أول بائع سميت2 واشتريتُ منه واحده. ثم شغّلتُ المذياع وانطلقتُ في الطريق إي - 5 نحو ليفَنت. كانت الأغنية لفرقة "جثرو تول" Jethro Tull فاستغربتُ وجود محطة إذاعية تبث أغاني تلك الفرقة القديمة ورفعتُ الصوت.

كنت أسير على المسار الأوسط في الطريق، وأنا أقضم قطعة السميت. لقد وجدتُ إيبو، وأنا ذاهب للحديث معه باسم جميع زبائني القدماء والجدد، والفضول يتملكني للتعرف إليه. وهو فضول لم يكن يراودني لأعرف شخصية أورهان يلماز، أو لمعرفة من قتله. وعلى مَن لديه مثل هذا الفضول أن يذهب ويسأل الشرطة. أما أنا فكنت أتمنى فقط ألا تأتي الشرطة في النهاية وتسألني عنه.

كنت سعيدًا بالنيابة عن طلاب جامعة البوسفور، لأنه في حال لم يأتِ شخص أقوى من الخال أو شخص أصغر عقلًا من إيبو، فلن يكون هناك شيء سوف يقترب من الشباب المستلقين على عشب أرض الجامعة ويؤثر فيهم إلا أشعة الشمس.

أخذتُ نفسًا عميقًا وأنا أشعر بالرضى في داخلي، فالسميت طازج، والموسيقى جميلة، والجو حار ولكنه مقبول. كنتُ أقود السيارة بالسرعة التي يسمح بها الازدحام، وعندما وصلتُ إلى مدخل ليفَنت أبطأتُ السرعة، ودخلتُ من جهة السوق، حيث كان الطريق باتجاه واحد. ثم انعطفتُ إلى الشارع الذي أخبرَتني عنه زوهال، وكان يضم الكثير من الأبنية ذات الطابق الواحد أو الطابقين التي تُستخدم كأماكن عمل، والتي يبدو أنها أقيمت بعد هدم الأبنية القديمة.

كان المكان الذي أقصده بناء من طابق واحد يفتح لشدة قدمه شهية الباحثين عن إقامة بناء جديد مكانه، وبجواره بناء قيد الإنشاء. وكنتُ معتادًا ألا أركن سيارتي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أمام البناء الذي أريد الذهاب إليه، ولكن المكان هنا لم يكن يسمح بذلك أصلًا، حيث كان الجانب الأيسر من الطريق المخصص لركن السيارات ممتلئًا.

خرجتُ نحو الجادة التي تمر من أمام جامعة ليفنت، حتى وجدتُ بصعوبة موضعًا أسفل الشارع، فوضعتُ موسيقى جثرو تول التي كانت ما تزال تغني ونزلتُ من السيارة. وصلتُ إلى الشارع الذي يقع فيه المنزل، والقائم بين حديقتين. مشيتُ خمسين خطوة حتى بلغتُ المنزل، ثم فتحتُ باب الحديقة الذي أصدر صريرًا، وقرعتُ الجرس، فتحرّكت الستارة الموجودة فوق الباب قليلًا.

لو كانت أمامي ثلاثة احتمالات لأتوقع مَن سوف يفتح الباب لما عرفت، ولكن بعد أن فُتح الباب نصف فتحة، خرجَت إليّ خالة لطيفة عمرها يقارب السبعين عامًا، تضع غطاءً أبيض يغطي نصف شعرها.

نظرَت الخالة نحوي، فتراجعتُ قليلًا دون وعي وأنا أسأل نفسي: هل أخطأتُ العنوان؟ ولكن الرقم الموجود أعلى الباب كان يشير إلى أنني في المكان الصحيح.

انسحبَت العجوز جانبًا لتفسح لي الطريق، وقالت: "تفضل يا ولدي".

تمكّنتُ أخيرًا أن أقول لها: "يوم سعيد يا خالة، كنت أبحث عن الآنسة سينَم".

توقفَت قليلًا، ثم حرّكت شفتيها المجعدتين وقالت: "أظن أنك مخطئ يا ولدي. لا يوجد أحد بهذا الاسم هنا".

قررتُ ألا أضايق المرأة، وتصرّفتُ كأنني أخطأتُ، فقلتُ لها: "فعلًا يا خالة، أعتذر على الإزعاج". ثم انحنيت وتراجعتُ إلى الوراء مودّعًا. وكانت تنظرُ إليّ من خلال فتحة الباب حتى وصلت إلى باب الحديقة. بينما كنتُ متأكّدًا أنها تقوم الآن بطلب المغفرة من الله على ذنب الكذب.

عندما أصبحتُ خارج نطاق رؤية الخالة، دخلت إلى موقع البناء المجاور، وسرتُ خلف أكوام الرمل والحديد والإسمنت. لم يكن هناك أحد يعمل في موقع البناء، فشكرتُ بلدية بشكتاش بداخلي لأنها لاحظَت الفرق في الارتفاع بين الرخصة والواقع.

تجاوزتُ البناء وبلغتُ الحديقة التي تقلّصت مساحتها بسبب تمدد المباني عليها، فوجدتُ حائطًا منخفضًا يفصل بين حديقة المنزل قيد الإنشاء والحديقة المهملة للخالة التي خدعتني. حيث كانت الأزهار والكروم المتسلقة على الجدار جافة من العطش، بينما كانت الأعشاب التي تغطي الحديقة قد أصبحت طويلة وشديدة الاصفرار.

تمكنتُ من القفز فوق الجدار بسهولة، ومشيتُ نحو باب المطبخ المطلّ على الحديقة القديمة، ثم وقفتُ أمام الباب ونظرتُ داخل المطبخ. كانت يد سينَم على باب الثلاجة، وكانت ترتدي سروال جينز أزرق وقميصًا.

كان باب المطبخ مغلقًا فطرقتُ عليه مرتين، وعندما رأتني سينَم لم يبدُ عليها الاستغراب، إذ كانت أعصابها باردة أكثر مما كانت عليه حين شاهدتُها في جامعة البوسفور.

تراجعَت عن تناول ما كانت تريده من الثلاجة، وقالت: "كنت أعلم أن عمتي لن تقدر على خداعك".

قلتُ: "الشاب يشبه خاله والفتاة تشبه عمتها"، ثم سألتُها: "هل إيبو في المنزل؟".

قالت: "إنه في الأعلى. ماذا ستفعل به؟".

أجبتُها: "لا شيء".

قالت: "هل هناك خبر سيئ؟".

قلت: "أمور عادية".

قالت: "إنه خائف، خائف كثيرًا، حتى أنا أصبحت أشجع معه".

قلت: "حسنًا، دليني على الطريق إليه".

ارتقينا الدرجات الموجودة في زاوية المطبخ، فبلغنا الفسحة خلف الباب الذي كنت قد طرقتُه. وكانت الخالة ذات الخدود الصغيرة المجعدة والتي فتحت لي

تجلس في غرفة صغيرة مقابل الباب وتقرأ القرآن، ولكنها لم تنتبه لوجودي.

صعدنا إلى الطابق الأعلى عبر الدرج المائل، وحين وصلنا هتفت: "إيبو، إيبو".

لم يصدر صوت من الغرفة، فقامت سينم بفتح الباب بهدوء، ودخلت أولًا ثم دخلتُ بعدها. وعندما نظرنا داخل الغرفة لم نجد أحدًا.

وفجأة صدر صوت من الخلف يقول: "من الذي باعني يا ولد؟".

التفتنا إلى مصدر الصوت فرأينا إبراهيم ساري يقف فوق السرير بجوار باب الغرفة، مستندًا إلى الجدار وكأنه لم يتبقَ مكان آخر يقف فيه، وكان يحمل مسدسًا في يده.

قلت له: "اهدأ يا إيبو، لأنك إذا ضغطت على الزناد فسوف ترعب السيدة الجميلة التي في الأسفل".

أنزل يده التي يحمل بها المسدس، وأبعد جسمه عن الجدار وثنى ركبتيه. ثم جلس فوق السرير وظهره للجدار. وكان وجهه منهارًا أكثر مما كان عليه في الصور التي رأيتها له في ترسوس.

أنزل من يده المسدس ووضعه على السرير، وغطى وجهه بيده الأخرى، فسألته: "هل هذا مسدس أورهان يلماز؟".

وضع إبراهيم ساري يده على رأسه، وقالت له سينم: "أخبرتك ألا تأخذه، ولكنك لم تسمع مني وأخذته، أليس كذلك؟".

أمسكتُ المسدس بطرف غطاء موجود على السرير، ووضعته فوق كنبةٍ مجاورة للسرير، وقلت: "لا حاجة لنا بالسلاح. سوف نتكلم فقط، وبعدها نتصل بالعم".

جلست سينم على السرير، وكانت لا تزال تنظر إلى إبراهيم ساري نظرات غضب وألم.

قلت: "عمك في إسطنبول. لقد أتى عندما سمع بموضوع أورهان".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قال بصوت مرتجف: "أنا لم أفعلها، نحن لم نفعلها".

قالت سينم: "كفاك هذيانًا يا إيبو".

أسكتُ سينم بيدي، ثم جلستُ على الكرسي الوحيد الموجود في الغرفة.

عاد إبراهيم ساري يكرر قوله: "هذا كذب. نحن لم نفعلها".

قلت: "ولكنكم ذهبتم إلى هناك".

قالت سينم: "أنا طلبتُ منه الذهاب، كان يجب علينا أن نذهب".

قال إبراهيم: "ذهبنا ورأينا. يا ويلي..." نظر إلى سينم ولم يستطيع أن يكمل كلامه.

فقالت سينم مرة أخرى: "كفاك هذيانًا يا إيبو".

تابع إبراهيم ساري: "نعم، ولكنكِ لم تجدي الشريط". ثم بدأ بالضحك وكأنه يريد القول: هذا شيء مضحك جدًا.

والتفت نحوي قائلًا: "هذه الفتاة ذهبت لتبحث عن الشريط تحت جثة الرجل".

قالت سينم: "أخبرتُك أن تسكت يا إيبو".

قلت: "من الطبيعي ألا يكون الشريط هناك، فقد وجدتُه في الغرفة المعتمة".

فزعَت سينم فجأة، وهاجمت إبراهيم ساري، وبدأت تضربه على وجهه. أما هو فتجمد في مكانه ولم يقاوم، بل وضع يديه على رأسه، وهو يضحك.

"أنت ابن حقير.. أنت حقير، أنت قذر..."، ولم أوقفها.

سألَته وهي مستمرة في ضربه: "هناك نسختان من الشريط، أليس كذلك؟".

كان إبراهيم ساري يتلقى الضرب، وينظر إليّ من بين الأيادي التي تضربه.

فقال وهو يضحك: "حبتا فستق. شريطان".

انتقلَت عدوى الضحك إلى سينم، حتى وقعَت فوق إبراهيم ساري من شدة

الضحك، فنظرتُ إليهما ولم أقل شيئًا، فقد تعلّمتُ من تجاربي أن هذا الضحك يتبعه بكاء.

ولكن شيئًا غريبًا وقع بعد ذلك، إذ دُفع الباب الذين كان مفتوحًا نصف فتحة. ودخلت صاحبة الفم الرقيق، وقد أحكمت الغطاء على رأسها بشكل أفضل. وكانت تحمل بيدها صينية قديمة عليها ثلاثة أكواب من الشاي، وتبدو وكأنها قادمة من عالم آخر.

قالت: "أحضرتُ لكم الشاي يا أولادي، فالشاي جيد في هذا الجو الحار".

صمتنا جميعًا احترامًا لهذا الزمن الماضي الجميل، وتناولنا الأكواب بهدوء، ثم خرجت العجوز مثلما دخلَت. أما سينَم فوضعت كوبها على الطاولة الصغيرة الملحقة بالسرير وبدأت بالبكاء. بينما وضع إبراهيم ساري كوبه على الأرض، والتصق بها، وأحاط كتفها بيده معانقًا. وكانت سينَم مستمرةً في البكاء ولكن دون صوت.

لم أشرب الشاي في أكواب رقيقة منذ مدة، لذا أخذتُ رشفة من الشاي وأنا أنظر إليهما. وأتبعتُها برشفة أخرى، فقد كان مذاق الشاي مريحًا لحلقي وجوفي.

بعد أن هدأت تنهدات سينَم، بدأتُ بالكلام: "اشربوا الشاي يا أولاد، إنه شهي".

قالت سينَم وهي تمسح عينيها: "إيه، ما زال...".

ثم ساد الصمت بيننا جميعًا. وعندما انتهينا من الشاي كان إيبو وسينَم قد هدآ. فنظرا إلى وجهي وكأنهما يسألان ما الذي سيحصل لاحقًا.

فبادرتُ بالكلام مخاطبًا إبراهيم: "هل ما أعرفه صحيح؟ لقد اتصلَت سينَم بمنزل أتاكوي، وقالت إنها ذاهبة إلى استوديو أورهان يلماز لتأخذ الشريط، فأخبرتَها بأنك ستذهب معها، ثم التقيتَ بها. والسؤال، متى اتصلت بك سينَم؟".

أجابَت سينم: "بعدما تحدثتُ معك في المرأب".

سألتُها: "لماذا؟".

أجابَت: "شعرنا بالخوف عندما ظهرتَ، حيث كنا وحدنا في البداية وكنا نعالج

أمورنا سوية بطريقة ما. وفجأة جاء رجل من الخارج، لا نعلم إن كان من الشرطة أو المافيا. لقد خفت كثيرًا".

أضاف إيبو: "أصبنا بالذعر، وكان يتحدث بشكل غريب على الهاتف".

تابعت سينم: "شعرتُ وكأنني وشيتُ بإيبو، وعندما قال لي على الهاتف لماذا فعلتِ هذا؟ لماذا فعلتِ هذا؟ شعرت بالمزيد من الخجل. فأردتُ منه أن يخرج وأن...".

قال إبراهيم ساري: "يطلقون على ذلك في علم النفس اسم الشبكة الخاصة وعقدة الفقدان"، وعانق سينم أكثر.

سألته: "متى ذهبتما إلى الاستديو؟".

فأجابني: "لا أعلم، لم أكن أحمل ساعة. ولكنني أذكر أننا جلسنا وتحدثنا كثيرًا قبل أن نذهب".

"أين؟".

قالت سينم: "في مقهى مرمرة".

قال إبراهيم ساري: "كنتُ خائفًا مثل الكلب، وأحاول إقناع سينم بأن أفضل ما نفعله هو الاختفاء، حتى أنني اشتريتُ تذكرتي سفر وعرضتهما عليها، ولكن سينم كانت مصرّة على عدم الذهاب إلى أين مكان من دون الشريط".

علّقت سينم: "اعتقدتُ أنني لو وجدت الشريط فسوف أخرج من كل الموضوع".

قلتُ بداخلي: آه يا فتاتي الجميلة، هل التخلص من كل شيء هو بهذه السهولة؟

ثم قلتُ لهما مستفهمًا: "وبعد ذلك؟".

قالت سينم مخاطبة إبراهيم: "تكلّم، وإن أخطأتُ فسوف أصحح لك".

قال إبراهيم ساري: "بعد أن جلسنا فترة في مقهى مرمرة نهضنا وذهبنا إلى الاستوديو، وكان الباب مفتوحًا، وهو يكون مفتوحًا أصلًا في أغلب الأوقات. لم يكن هناك صوت في الداخل، ولما نظرنا حولنا وجدنا الرجل".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"وبعد ذلك؟".

"قلت لها: تعالي نذهب، فقالت: ما دمنا قد وصلنا إلى هنا فتعالَ نبحث على الشريط. وبحثنا عن القرف الذي فقدناه إلا أننا لم نجده".

قالت سيئم: "بحثنا بسرعة وخوف. أنت السبب في كل ما حصل".

قال إبراهيم ساري وهو يحاول إغلاق الموضوع: "هل كان الرجل سيخفي شريطًا إباحيًا للهواة في الخزنة؟ لو كان الشريط موجودًا لوضعه في أي مكان".

ضربَت سيئم الولد على وجهه، فتدخلتُ قائلًا: "لا تعودوا إلى الأمر من جديد، هذا يكفي. يمكنكما تبادل الضرب بعد ذهابي، أما الآن فأكملا".

أراحتهما فكرة بأنني سأذهب وأتركهما وحيدَين هنا.

قال إبراهيم ساري: "وبعدها.."، وفي الوقت ذاته قالت سيئم نفس الكلمة، فتابعت: "وبعدها أتينا إلى هنا، لأن منزل عمتي لا يعلم به أحد. وحتى أنا لا آتي إليه إلا مرة كل أربعين سنة".

أشرتُ إلى أسفل السرير، وسألت: "أين كان المسدس موجودًا؟".

أجاب إبراهيم ساري: "فوق ساق أورهان".

قالت سيئم: "أخبرتُ الغبي ألا يأخذه..".

ابتسم إبراهيم ساري وكأنه يقول: من حقي أن أكون غبيًا من حين لآخر.

CamScanner ممسوحة ضوئيا بـ

الفصل السابع عشر

وقفتُ على قدميّ، وقلت: "مفهوم. لا يهمني كيف ستجدان حلًا للمشكلة، ولا يهمني ماذا فعلتما أو ماذا لم تفعلا. سوف أغادر بعد قليل".

وقفت سينم ووقف إبراهيم ساري أيضًا، وكأنهما أصبحا أكثر قربًا.

سألتُ سينم: "هل يوجد هاتف في المنزل؟".

أجابتني: "يوجد هاتف في الصالة، وهاتف في غرفة النوم لأن عمتي لا تستطيع النزول إذا رن الهاتف".

قلت: "لنستخدم الهاتف الذي في الصالة".

نزلنا الدرج المائل وذهبنا إلى الصالة المطلة على الطريق، حيث كانت توجد غرفة جلوس تعود إلى العام 1950، وفي زاوية الصالة موقد فوقه صورة للعائلة. وكانت الكنبات مغطاة بقماش أبيض على غرار الغرف التي لا يجلس فيها أحد لفترة طويلة. ولكن الهواء كان نقيًا، وهذا دليل على أن النوافذ تُفتح بشكل مستمر هنا.

جلس إبراهيم ساري على إحدى الكنبات المغطاة وكأنه سيموت من التعب، أما أنا فأخذتُ الهاتف الموجود فوق طاولة ذات الأرجل الملتوية، واتصلت برقم الفندق في قاضي كوي الذي يقيم فيه العم. انتظرت قليلًا، ثم رفع يوسف ساري سماعة الهاتف.

قلت: "أنا رمزي أونال يا يوسف".

قال بصوت تعب وفضولي: "نعم يا أخ؟".

قلت: "هناك شخص يرغب في التحدث معك"، ودون انتظار جواب منه أشرت إلى إبراهيم ساري أن يأتي ويتكلم. فجاء وهو يسير الهوينى وكأنه مجبر على ذلك.

أمسك السماعة وقال: "عمي".

أصغى قليلًا، وقال: "نعم".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكرر كلمة نعم مرتين بعدها، ثم أعطاه عنوان المنزل الذي كنا نوجد فيه قائلًا: "أنتظرك هنا"، وناولني سماعة الهاتف.

قال يوسف ساري: "شكرًا لك يا أخ. أصبح المال حلالًا عليك، وسوف أرسل لك الإكرامية لأنك وجدت الولد".

قلت: "حسنًا يا يوسف".

قال من جديد: "حسنًا يا أخ، ماذا قال الخال؟".

أجبته: "قال إن الأمور على ما يرام. لقد اتفقت معه".

قال مرة أخرى: "شكرًا لك".

قلت: "مع السلامة". وأغلقت الخط.

عدتُ إلى إبراهيم ساري، وقلت له: "الطريق من قاضي كوي إلى هنا ليس طويلًا. أنا ذاهب".

كان إبراهيم ساري ينظر نحو الأرض، بينما كانت سينم تنظر إليه. فقلتُ لهما: "أتمنى ألّا تُجبرا على البوح بما كنتما تبحثان عنه لدى أورهان يلماز لغيري، لأنه لو حدث ذلك فسوف تقعان بمشاكل كبيرة. إذ ليس مهمًا إن اقتنعتُ بالأمر أم لم أقتنع، فالمهم أن الآخرين سوف يصدقون. أما أنا فقد انتهت مهمتي وسلمتك إلى عمك".

كان إبراهيم ساري لا يزال ينظر نحو الأرض وكأنه يقول: ليذهب هذا الشخص من هنا. ولم أكن أرغب أن أتركه بهذه السهولة، لأنني في الواقع وجدته بصعوبة.

فقلت له: "انسَ أمر العمل في جامعة البوسفور يا إيبو. لقد أخذتُ وعدًا من الخال، لذا سلّم البضاعة التي تخفيها إلى عمك، وهو سوف يحل المشكلة. في أمان الله!".

خرجتُ من الصالة وتوجتُ نحو الباب، ولكن إبراهيم ساري لم يتفوه بأية كلمة بل صعد الدرج إلى الطابق الثاني. وكنت وحدي مع سينم، بينما كان باب الغرفة التي تقرأ فيها العمة القرآن مغلقًا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سألتني سينم وهي تفتح الباب: "هكذا وحسب؟".

أجبتها: "وماذا يمكن أن يكون أكثر من ذلك!".

قالت: "لا أعلم. اعتقدت أن أشياء كبيرة وغريبة سوف تحدث عندما رأيتك عند باب المطبخ".

قلت: "أتمنى ألا يحصل شيء".

فتحت سينم الباب، فقلتُ لنفسي لا بأس من سؤال آخر، وسألتها بينما كان نصفي داخل المنزل ونصفي الآخر خارجه: "حاولي أن تتذكري يا سينم، هل حدث شيء غريب في الجامعة يوم هروب إيبو فيه إلى منزل أتاكوي؟".

أجابَت: "لا، على العكس كان كل شيء على ما يرام، حيث اختير رئيسًا لنادي المصورين. وكان هناك اجتماع بعد الظهر للهيئة العامة التي تجتمع في نهاية العام، فقال: لدي بعض الأعمال، انتظريني في الغرفة المعتمة".

بدا الغضب يعلو وجهها بشكل كامل لأول مرة اليوم، وتابعَت: "كنا نجتمع أحيانًا هنالك، فانتظرته عند الباب ولكنه لم يأتِ. لم يأخذني بل أخذ زوهال وذهب".

سلمت عليها قائلًا: "أبلغي عمتي شكري على الشاي. واعتني بها".

فأغلقَت الباب دون أن تقول أي كلمة.

***

أغلقتُ باب الحديقة خلفي، وكانت ستارة النافذة في الطابق الثاني تتحرك من جديد. مشيت في الشارع الذي كان مقفرًا، وكنتُ أرغب أن أسير قليلًا فلم أعبر الشوارع الفرعية بل ذهبتُ عبر الجادة الرئيسية.

وعندما اقتربت من السيارة راودني شعور غريب في داخلي، وبالفعل كان هناك شيء غريب، إذ اكتشفتُ عدم وجود زجاج النافذة الأمامية من جهة الراكب، فاقتربتُ بسرعة، ورأيتُ الزجاج متناثرًا.

أدركتُ بعد برهة أنني لن أستطيع الاستماع إلى فرقة جثرو تول بعد الآن، فالمذياع مفقود. ولكن بالمقابل كان هاتف السيارة موجودًا. *كيف وقع هذا في وضح النهار؟!*

ركبتُ السيارة دون أن أقوم بتنظيف قطع الزجاج المتناثرة. هل سبق لأحدكم أن ركب سيارة كُسر زجاجها بعد أن فتح الباب بالمفتاح؟

لم يكن لديّ تأمين والحمد لله، لذا لم أكن مضطرًا للذهاب إلى الشرطة وتقديم بلاغ. وكان بإمكاني أن آخذ السيارة غدًا للتصليح. وهكذا عدتُ إلى المنزل بسيارة نافذتها مفتوحة، وهو أمر كان طبيعيًا باعتبار أن الوقت كان أصلًا هو فصل الصيف.

ركنتُ السيارة أمام المنزل بجوار حائط مرتفع، وتعمدتُ أن تكون السيارة قريبة جدًا من الحائط من جهة النافذة المكسورة. وعندما دخلتُ إلى المنزل شعرتُ وكأنني عائد من رحلة طويلة. والواقع أن من أكثر الأمور سوءًا في العيش وحيدًا هو أنك مهما ابتعدتَ عن المنزل فسوف تعود وترى كل شيء في مكانه. إذ لو وضعتَ التمثال في مكانٍ معين، وجاءت السيدة التي تنظف المنزل لتقوم بالترتيب فإنها ستحرك كل شيء ثم تعيده إلى موضعه، ومن ثم فإنك ستجدُ التمثال في نفس المكان.

كانت الطائرة بانتظاري على الحاسوب الذي لم أغلقه، والذي لم تنقطع الكهرباء لتغلقه. كما كان المجيب الآلي للهاتف يواصل عمله مثل النمر، فوجدتُ رسالتين جديدتين.

كانت الرسالة الأولى تحوي صوت: "تووووووت" فقط، أما الرسالة الثانية فكانت من امرأة تقول إنها سوف تكلفني بعمل عندما أتصل بها، ولكن يبدو أنها من شدة حماسها نسيت أن تترك رقم هاتف. فحمدتُ الله على أن إعلانات صديقي لا زالت تفي بالغرض، ولكنني قلتُ لنفسي إنني لم أكن لأتصل بالمرأة حتى لو تركت رقمها. هل يوجد في داخلي شعور بالنقص أم ماذا؟

جلست في الطائرة من طراز سيسنا، ونظرتُ إلى الشاشة بينما كنتُ أضغط على الأزرار، فلم أجد طائرة أخرى في الجو. قمت بالإقلاع بشكل سليم مما أسعدني،

والواقع أنه ليس على المرء القيام بالكثير لينفّذ إقلاعًا صحيحًا بالطائرة. فالطائرة ذات المحرك الواحد تقلع من تلقاء ذاتها عندما تصل سرعتها إلى 70 عقدة. ارتفعت بالطائرة إلى علو 4000 قدم واتجهت نحو بحيرة ميتشيغن، إذ لم أكن أرغب في الطيران عبر المدينة وبين ناطحات السحاب. كنت أطير بسرعة فوق اللون الأزرق المترامي الأطراف، وكان صوت المحرك ثابتًا مما جعلني أشعر بأنه ربما يحدث شيء ما في أية لحظة، ولكن وكما في كل مرة لم يحدث شيء.

ارتفعت إلى علو 5000 قدم بشكل لا يثير هلع الركاب لو كانوا موجودين، ثم وصلت إلى الفيوم بعد ارتفاع 5000 قدم فدخلت بينها، وحلّقت فوق اللون الأبيض لعدة دقائق وأنا أتحقق من اتجاهي بواسطة البوصلة وأتحقق أيضًا من الارتفاع.

بعد ذلك شعرت بالملل، فانخفضت إلى ارتفاع 4000 قدم، وكان اللون الأزرق ما زال ممتدًا أسفل الطائرة. وقبل أن يصدر صوت التنبيه: استدر بعد دقيقتين، استدرت 180 درجة بشكل قاس، ثم ضغطت على الخريطة لأرى إن كنت في الاتجاه الصحيح.

بعد قليل بدأت ناطحات سحاب شيكاغو تلوح من بعيد، فاتّخذت انحناءً كبيرًا، ولما لم أجد طائرات تقطع طريقي فإنني لم ألتزم بالمسار التقليدي للهبوط، بل هبطت بالطريقة التي أريد. ولكن الطائرة تحطّمت من جديد.

لازمني العناد، فلم أنهض من أمام شاشة الحاسوب، كما أن الهاتف لم يزعجني، لذا أقلعت مرة أخرى فتحطّمت الطائرة من جديد. وعندما شعرت بالملل من تكرار التحطم ومحاولة الطيران إلى ارتفاع 4500 قدم دون توقف، وضعت الطائرة على وضعية الطيار الآلي للتحليق نحو نيويورك وذهبت إلى النوم، حيث كان وقت الطعام لم يحن بعد.

لم أرَ في أحلامي يوسف أو إيبو أو سينم أو زوهال أو كورتار أو الخال أو الدبين أو أورهان يلماز وجثته العارية. وعندما استيقظت توجّهت فورًا نحو الطائرة، فرأيت خطًا صغيرًا يظهر من زجاج الطائرة، ولم يكن هناك جبال أو بحر أو بحيرة أو مدينة، بل مكان فارغ لا يوجد فيه شيء. كانت الطائرة تحلق دون وجهة محددة، بينما كان

صوت محركها ثابتًا.

نظرتُ إلى الساعة فوجدتها 8:12، وكان بإمكاني معرفة موقعي لكن الأمر سوف يستغرق بعض الوقت، لذا أغلقتُ الحاسوب، وشغّلتُ التلفاز.

كان مقدم البرامج المفضل لديّ قد انتهى لتوه من استعراض آراء السياسيين حول هذا العالم الغريب. وظهر على الشاشة آلاف الأشخاص الذين أُخرجوا من بيوتهم نتيجة إعصار قوي، حيث كانت الشوادر تتطاير والسيارات تسير عكس الاتجاه. ثم ظهر مكوك الفضاء عائدًا إلى الأرض من رحلته الأخيرة، وكان الطيارون أفضل مني فقاموا بالهبوط بطريقة سلسة. وتوالى عرض الأخبار.

بينما كنت أفكر بالذهاب إلى الحمام فوجئتُ بصورة يوسف ساري وهو يخرج من المنزل الكائن في ليفَنت، وهو يضع يديه على وجهه، ثم صعد إلى حافلة الشرطة. وتبعه إبراهيم ساري وسيئم.

رفعتُ صوت التلفاز، وكان المراسل يقول: "نفّذت الشرطة عملية أمنية في هذا البيت بعد إخبار وصل إليها، حيث تم القبض على يوسف ساري الذي كان يُدخل المخدرات إلى إسطنبول من محافظة جنوبية، كما تم اعتقال شابين جامعيين كانا معه في المنزل".

الخال ليس مصدر الإخبار.

استمر صوت المراسل مع إعادة مشهد صعود يوسف ساري إلى الحافلة: "وجد في المنزل عشرة غرامات من الهيروئين وقطعة سلاح. وبحسب الشرطة فإن هناك صلة بين القبض على يوسف ساري اليوم ومقتل أورهان يلماز البارحة".

حتى ذلك الحين لم يرد اسم جامعة البوسفور.

بعد ذلك ظهرت على الشاشة مشاهد حادث مروري وقع بين قيصري وقرَشهير، فبدّلتُ المحطة.

لا تتعدى دائرة الأشخاص الذين يعرفون المنزل الكائن في ليفَنت زوهال وأنا،

وبالتأكيد لم أقم بإخبار أحد، بينما لا يوجد سبب يدعو زوهال لتفعل ذلك، أو ربما يوجد سبب.

فكّرتُ أن عدم وجود البضاعة مع إيبو هو أمر جيد، فهذا يُبعد الضرر عن منزل العمة، وفكّرتُ أنهم قد يكونون قادرين على إخراج أنفسهم من القضية، فالأمر صعب ولكنه ممكن. والسؤال: من يقول الحقيقة ومن يكذب؟ ومن لا يقول شيئًا؟

ثم ورد إلى ذهني خاطر أكثر سوءًا، وهو أن إبراهيم ساري لو حاول المقاومة بالمسدس الموضوع أسفل السرير، فمن يدري ماذا كان سيحدث؟

عبر مشهد جثة أمام عينيّ! ما هي القناة التي شاهدتُ فيها الخبر؟ لم أشاهد ذلك في الأخبار، لقد رأيته على أرض الواقع. وعندها تذكّرتُ الشريط الذي تحت التلفاز، إذ أنني وضعتُ شريطًا للتسجيل بعد انتهائي من قراءة الجريدة، ولم أعاين التسجيل لاحقًا، إلا أن الجثة كانت موجودة فيه. وبما أنه لم يقم أحد بإيقاف التسجيل فلا بد أنه استمر حتى وصل إلى آخر الشريط.

شغّلتُ الشريط بالوضعية السريعة حتى أصل إلى جثة أورهان يلماز، فمرّت مشاهد شخص يحاول القفز عن الجسر، وشخص خرج إلى الشارع بملابس شفافة، وخبر عن عائلة تتقاتل داخل أروقة المحكمة، وبينما كان مذيع ذو شعر طويل يتحدث في الاستديو ظهرت عبارة أسفل الشاشة: بعد قليل جريمة القتل العاري في سِراسيلفيلار، فأعدتُ سرعة الشريط إلى الوضع الطبيعي. كان هناك منتجٌ موسيقي يتحدث عن أن شخصًا مشهورًا انفصل عن شركته وقام بسرقة ألحان أربع أغانٍ، فضغطتُ مفتاح التسريع من جديد، وعاد الأشخاص في الاستديو يتحدثون ويحركون أيديهم بسرعة. ثم ظهر عناصر من الشرطة ينزلون على الدرج حاملين جثة في كيس بلاستيكي، فأعدتُ الشريط إلى الوراء وشاهدتُ اللقطات من البداية. ونظرًا لأن القناة التي سجلتُ منها المشاهد لم تكن هي القناة التي يعمل فيها مذيعي المفضل فإن صياغة الخبر كانت سيئة.

في البداية أُنزلت الجثة على نقالة، ثم ظهر أفراد الشرطة الذين يحملون أجهزة اتصال لاسلكي وهم يتحدثون. وانتقلَت بعدها آلة التصوير المحمولة على الكتف

لتتوقف عند اللوحة التي على الباب والتي كُتب عليها: يلماز للإنتاج، وتابعت طريقها إلى الداخل، بين أفراد الشرطة الذين يتجولون في الممر، لتعود وتتوقف عند باب الغرفة المعزولة، وعليه عبارة: غرفة التسجيل/ممنوع الدخول، ومن جديد تابعت الدخول وأظهرت زجاجات المشروب وجهاز التقاط الصوت مرميًا على الأرض وسط الدماء.

عندما انتهى الخبر أعدته من البداية، إذ أصبحث أعرف أين يبدأ، فعندما ينتهي المذيع ذو الشعر الطويل من القول: سوف نتواجه أمام العدالة تنتقل المشاهد إلى خبري. تنزل الحمالة من الدرج، تتجول آلة التصوير بين أفراد الشرط، تدخل إلى الغرفة المعزولة، حيث الدماء وجهاز التقاط الصوت على الأرض وزجاجات المشروب.

أعدتُه مجددًا من البداية وشاهدته مرة أخرى. لم أتوصل إلى شيء جديد كما كنت آمل، ويبدو أن اعتقادي في إمكانية العثور على أمر مفيد في الخبر كان اعتقادًا في غير محله. والواقع أنني لم أكن أعلم ما الذي أبحث عنه أصلًا، إلا أن شعورًا في داخلي أخبرني أن هناك شيئًا ناقصًا لا بد أن يظهر في آخر دقيقة كما يحدث في الروايات.

أغلقت التلفاز، وأخرجت الشريط من الجهاز، وفجأة تملكني إحساس بإدراك ما كنت أبحث عنه.

كانت الساعة تقترب من التاسعة، فخرجت من المنزل بالملابس التي أرتديها ومن دون أن أستحم أو أحلق ذقني.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثامن عشر

لم ألتفت أبدًا إلى السيارة المركونة وطرف زجاجها المكسور موجه نحو الحائط. بل توجهتُ نحو الشارع الرئيسي وركبتُ سيارة أجرة. كنت أفكر أن يوسف وإيبو وسينم هم في قبضة شرطة مكافحة المخدرات، ولو أنني بقيت مزيدًا من الوقت في المنزل فربما كنت معهم الآن، مجبرًا على الإجابة عن أسئلة حول مهنة صدر قانونها حديثًا وما زالت حدودها غير معروفة وخبرتي بها قليلة.

أغمضت عينيّ وحاولت تذكر تفاصيل الخبر في ذهني، وكانت سيارة الأجرة قد توقفت عند الإشارة الضوئية أمام المركز، ثم انعطفت إلى اليسار، ودخلت شارع نِسبيتيّه بين الدكاكين والمطاعم والمصارف. وكانت هناك سيارتا شرطة تعلوهما أضواء حمراء وزرقاء، يشير أفرادهما إلى بعض السيارات للوقوف على جانب الطريق.

عبرنا حي أتيلار، وكانت السيارة تنطلق بسرعة. وأنا أفكّر أن الطائرة بأمان مع مساعد الطيران. ثم أخرجتُ علبة التبغ من جيبي وتناولت منها لفافة، فلمحني السائق فوزًا من خلال المرآة، وقال: "المعذرة يا أخي، ولكن من الأفضل ألا تشعلها".

أعدتُ اللفافة إلى العلبة، وبعد قليل جاء التوضيح مماثلًا لكل مرة:

"لقد منعني الطبيب يا أخي، وأنا في هذا العمر..".

لم أجبه، بل بدأت أتنفس بعمق، فملأتُ أنفي بالهواء ومررته إلى التجويف الفموي، ومن هناك إلى الرئتين. وبعد أن أشبع جسمي بالهواء، قمت بالزفير بنفس الترتيب.

كررتُ العملية خمس مرات حتى أحسستُ بالدوار الذي يصيبني عندما أدخن لفافة الصباح، واستذكرتُ في داخلي مقولة قرأتها من قبل وهي: "جوهر الإيكيدو هو إفقاد الخصم القدرة على المقاومة".

دخلنا منطقة حصار العليا فخفت بريق الإضاءة، ثم انعطفنا إلى شارع ضيق لا توجد فيه إضاءة لنصل إلى جمعية خريجي جامعة البوسفور. نزلتُ في ساحة ضيقة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جدًا زكنت فيها عشرات السيارات.

كانت أبراج قلعة حصار تبدو في الجهة المقابلة، ولكنني توجهت نحو أصوات السكاكين والضحكات المنخفضة، فاعترضت طريقي فتاة وقالت: "مساء الخير، هل لديك بطاقة عضوية؟".

قلت: "لا أملك بطاقة عضوية. أنا ضيف السيد كورتار عميد الفعاليات الطلابية".

قالت: "تفضل السيد كورتار في الداخل".

توجهت إلى الطاولة الموضوعة أمام المسبح الذي كان على شكل كِلية، وكان كورتار توبراك يجلس في الظل، لذا فقد لمحني أولًا ولوّح لي بيده من على كرسيه.

كان يلبس قميصًا ذا نقوش ولا يضع ربطة العنق، فجلست مقابله. وأشعلت اللفافة التي منعني سائق سيارة الأجرة من إشعالها.

قال: "أهلًا وسهلًا، هل توجد أية تطورات؟".

قلت: "نعم، لقد وجدت إيبو".

نظر إليّ وكأنه لم يستطع تصديق قدراتي، وحاول أن يقول شيئًا. ولكنني لم أسمح له، بل تابعت: "ومن بعدي وجدته الشرطة". ففتح فمه أكثر اتساعًا.

وأضفت: "كما أن إخبارًا وصل إلى شرطة مكافحة المخدرات، عن إيبو وسينم ويوسف ساري فتم القبض عليهم".

أخذ لفافة من علبة التبغ وأشعلها بيد مرتجفة، وحينها وصل النادل، فطلبت وجبة تنسيني جوع يوم لم أتناول فيه سوى قطعة سِميت، وطلب كورتار توبراك نفس الوجبة مع زجاجة مشروب، بينما اكتفيت بزجاجة مياه معدنية.

استجمع كورتار نفسه في أثناء طلب الطعام من النادل. ثم قال: "لا تحاول إقناعي بأنك حزين عليهم. إنهم جرة ماء كسرها الماء بطريقه".

قلت: "صحيح، وقد توقف الماء الوارد إلى جامعة البوسفور".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بعد ذلك رأيت زوهال واقفة عند طرف المسبح تبحث عني. فقلت لكورتار توبراك: "المستضيف لا يحب ضيف الضيف. أرجو أن تعذرني فقد دعوث شخصًا إلى الطعام".

نهضت من مكاني ومشيت باتجاه زوهال، التي كانت ترتدي تنورة تنتهي عند ركبتيها، وكنزة بيضاء ذات كمين طويلين، ولم تكن تضع من الزينة سوى وشاح.

أمسكتها من يدها وأخذتها إلى الطاولة، وكنت أرى المسار من بعيد، فخفضت سرعتي إلى 140 عقدة، وارتفاعي إلى 500 قدم، وفتحت الأجنحة الخلفية.

قلت قبل أن أجلس: "أنتما تعرفان بعضكما، أليس كذلك؟".

قالت زوهال وهي تمد يدها: "مساء الخير سيد كورتار".

قال السيد كورتار: "مساء الخير يا زوهال".

ثم جلسنا، فبادرث بالقول: "إنها ليلة سيئة. لقد كنت أحدث السيد كورتار قبل قليل عن إيبو".

قالت زوهال وهي تفرد المنديل على ركبتيها: "ماذا حدث لإيبو".

أضفتُ: "سينَم ويوسف ساري أيضًا".

نظرَت زوهال إلى الأمام وهي صامتة، فاعتقدتُ أن سكوتها هو بسبب عدم معرفتها إلى أي مدى تتحدث أمام كورتار توبراك.

كنت أهبط بسرعة ثابتة وزاوية مناسبة.

قلت: "السيد كورتار يعرف ماذا كان إيبو يريد أن يفعل في الجامعة، لذا يمكنك التحدث أمامه على راحتك".

قالت: "جرة الماء يكسرها الماء بطريقه".

جاء النادل من جديد، فطلبَت زوهال نفس الوجبة التي طلبتُها، وقررَت أن تتقاسم زجاجة المشروب مع السيد كورتار.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قلت بعد أن ذهب النادل: "لقد ضبطوا معهم المسدس الذي قُتل به أورهان يلماز، وهو مسدس أورهان أصلًا".

سأل كورتار: "من هو أورهان يلماز؟ ومن قتله؟ ومن أين ظهر لنا هذا الموضوع أيضًا؟".

أجبته: "سأشرح لك فيما بعد".

انخفضتُ إلى ارتفاع 3000 قدم، وعدّلتُ المقدمة، وخفضتُ السرعة.

قالت زوهال: "أصبحوا متورطين بجريمة قتل. أخبرتُكم بأن الأمر أضحى صعبًا".

قلت: "الأمر صعب، ولكنهم يمكن أن يبرّئوا بعضهم بعضًا من خلال شهاداتهم. فالاثنان قالا إنهما حين ذهبا للحصول على الشريط كان الرجل مقتولًا".

قالت زوهال: "من يصدقهم؟".

قلت: "لا تقللي من قيمة الشرطة، يستطيعون التمييز بين الذي يقول الحقيقة وبين الذي يكذب: بما أن هناك بصمات...".

أحضر النادل الطعام، فاستندنا إلى الخلف لنعطي مجالًا للرجل، وكانت فرصة جيدة لنا نحن الثلاثة كي نأخذ استراحة.

بعد أن ذهب النادل سألتُ زوهال: "هل تظنين أنهم لن يأخذوا بصمات الأصابع عن هاتف الاستديو؟".

كان ارتفاع مطار ميغس 593 قدمًا فوق سطح البحر، لذلك خفضتُ السرعة للوصول إلى ارتفاع 1600 قدم.

رفعَت زوهال رأسها، وحدّقَت إلى داخل عينيّ، فحدّقتُ إلى داخل عينيها. وكان عندي فضول لأعرف كيف كنا سنمضي هذا اليوم لو كنا وحيدين على مائدة الطعام. أما كورتار توبراك فلم يكن يفهم ماذا يدور بل كان ينظر إليّ وإليها.

ثم عادت زوهال إلى طعامها، وكأنها إن لم تبالِ بما قلتُه فلن تساند كشف الحقيقة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبدوري عدث إلى تناول طعامي، ثم قلتُ: "يفعل المرء في بعض الأحيان أمورًا لا يفعلها عادةً، مثل الرد على الهاتف فور رنينه، ويثوب إلى رشده بعد ذلك ولكن بل جدوى، لأنه يكون قد تأخر".

قالت زوهال: "كيف سيعرفون من الذي أجاب على الهاتف؟".

لم يربكني نسيم الهواء الخفيف القادم من الجانب، فأدرتُ المقود ووجهتُ الطائرة على المدرج بشكل صحيح.

أجبتُها: "عندما اتصلتُ باستوديو أورهان يلماز كررتُ اسمي مرتين للشخص الذي رفع سماعة الهاتف، ولكن لم يجب أحد. وعندما اتصلت بعد ذلك بمنزل أتاكوي فإنكِ تمكنتِ من تمييز صوتي فورًا. يبدو أن قدرتك في تذكُّر الأصوات جيدة، حتى أنك تكررين الجمل كما أقولها".

سألتني وصوتها يرتجف قليلًا: "ألا يمكن أن أكون قد أتيتُ بعد الحادث أيضًا؟".

أجبتُ: "والله لا أعلم، لستُ أنا من يقرر هنا. ولكن ما أعرفه هو أن سينم اتصلت بإيبو، فخرج مذعورًا. ثم قمتِ باتصالٍ وخرجتِ بعده، وكنت تعرفين عنوان استوديو أورهان بسبب مكالمات التحرش الطويلة التي كان يجريها معك. ولم يكن إيبو يسمح بالخروج سابقًا ولكنك غادرتِ إثر مغادرته وذهبت بسيارة أجرة، ولحسن حظك كان الازدحام خفيفًا في ذلك اليوم".

بدأت العضلات التي تعلو فمها تتحرك بسرعة، بينما كانت تقطع الطعام بالسكين والشوكة، وتبتلع الطعام فيهتز الوشاح.

اخترت نقطة الهبوط على المدرج وخفضت سرعتي إلى 70 عقدة.

"من المؤكد أنه تقرب منك. وربما تكونان قد قمتما ببعض الأمور، واحتسيتما مشروبًا. بل إنك قد تكونين سمحتِ له بالتمادي معك كي تشتتي انتباهه، ثم قاومتِ فأغضبتِه. الحقيقة أنني لا أدري ما حدث بالضبط".

لم تمس يد كورتار توبراك الطعام، إذ كان جامدًا في مكانه وينظر إلينا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"أظن أنك خلعتِ بعضًا من ملابسكِ مرغمةً بناءً على رغبته، فأخرج ذلك المجنون مسدسه ليُظهر لكِ قوته".

تناولتُ لقمة من طعامي، وكانت الدموع متهيأة للسقوط من عيني زوهال.

تابعتُ: "أخذتِ الشريط وذهبتِ، ولم تكن سينم تعلم بوجود شريطين، بينما كنتِ تعلمين ذلك، لذا لم تهربي مني كثيرًا. وعندما عرفتِ بوجود الشريط الثاني معي انتهى الأمر، وشعرتِ بالارتياح، بل فكّرتِ أن بإمكانك استخدام الشريط لإسكات سينم".

عاينتُ العجلات لأتأكد إن كانت قد فُتحت تمامًا أم لا، ثم فتحتُ الأجنحة بشكل كامل.

أكملتُ حديثي: "إذا صرّحتِ في المحكمة بأن الغضب انتابك وأطلقتِ النار فسوف يصدقونك، لأنني أعتقد أن الأمر لم يكن مخططًا كفاية، فالشخص الذي لديه خطة لا يطلق النار في كل الأرجاء".

بعد ذلك حدث أمر لم أكن أتوقعه، إذ انحنت زوهال فجأة فوق الطاولة وتقيأت، دون سابق تحذير أو تنبيه. ولم يخرج الكثير من معدتها، إلا أن رائحة ما لفظته انتشرت على الطاولة.

ثم نهضت على قدميها، وهي تحمل على وجهها تعابير غريبة تجمع بين البكاء والضحك، أُضيفت إليها بعد برهة تعابير الشعور بالغضب. فقالت وهي تمسح حول فمها: "هذا كله مجرد حكاية. من أين توصّلتَ إليه أساسًا أيها العجوز القذر؟!". وضربَت الأرض بقدمها.

ابتعدتُ قليلًا عن الطاولة التي عليها الإقياء، وأجبتُها: "أتمتع بذاكرة جيدة، فعندما اجتمعنا في المركز التجاري لأجعلكِ تتحدثين، أخبرتُك أن هناك شخصًا قد قُتل، ولكني لم أخبركِ من هو. فاستغربتِ وقلت بأنك لم تقرأي جريدة الصباح، ولم تسمعي بالأمر. إلا أنه بعد قليل بدأتِ كلامك بالقول: بما أن أورهان يلماز قد مات...".

حين أصبحتُ فوق المدرج رفعتُ المقدمة قليلًا باستخدام الدفة، وكان ارتفاعي

50 قدمًا فخفضتُ السرعة قليلًا.

رمت المنديل الذي كانت تمسح به فمها عليّ وقالت لي: "لعنك الله". ثم ركضت خارج جمعية خريجي جامعة البوسفور بعد أن مرّت جانب المسبح. ولم أتابعها بنظري، بينما كان كورتار توبراك ينظر إليها وفمه مفتوح، حتى غابت عن الأنظار.

الطائرة تلامس أرض المدرج.

شعر النادل أن هناك أمورًا غريبة قد وقعت فجاء إلينا يجري، وجمع الأطباق والأكواب بسرعة. أما أولئك الذين كانوا حولنا فأداروا أبصارهم عنا.

تم تغيير غطاء الطاولة ولكنها أصبحت فارغة حتى من علبة تبغي وعلبة زوهال، فأخذتُ لفافة من كورتار توبراك.

لم يكن قادرًا على استيعاب ما حدث، فسألني: "هل هذا صحيح؟".

قلت: "لا أعلم. إنه صحيح برأيي، ولكنني لن أجري لأخبر أحدًا به".

عاد النادل ليأخذ الطلب مرة أخرى. فطلبنا قهوة فقط.

كان كورتار توبراك يحاول استرجاع نفسه، فنظر إلى وجهي وضحك، ثم قال: "أي نوع من المحققين أنت؟ لقد وجدتَ القاتلة وهي لم تُنكر. ومن ثم تركتها تذهب".

قلت: "ما أهمية أن تذهب أو لا تذهب، ما دامت لا تستطيع الهروب، فهي ستنهار إذا طرحت الشرطة عليها سؤالًا أو اثنين. كما أنها تركت بعض الأشياء في موقع الجريمة. وهي ربما تسلم نفسها غدًا، أو ربما أتصل من مكان ما وأبلغ عنها، من يدري؟".

جلب النادل القهوة.

قال كورتار توبراك: "هل أنت دائمًا هكذا؟".

سألته: "ماذا تقصد؟".

أجاب: "تتصرف وكأنك غير مهتم بالنتائج، أنت تخلق النتائج ولكن لا تهتم بها".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قلت: "في الواقع هذا صحيح، فأنا لا أحب أن أكون الشخص الذي يبدأ الأمور، لأن أكثر شيء لا أرغب فيه هو تبديل حياة الناس. ولكن الأمر ليس بيدي، إذ إنه يحدث عادةً".

أخذتْ رشفة طويلة من القهوة، وتابعتْ: "كما أنني لا استخدم المعايير بازدواجية، لذا سوف أتعامل معك بنفس الطريقة".

تجمدت يده وهو يحرك السكر، ونظر إلى وجهي. فأضفتْ: "أنت الذي أخبرت عن المنزل في ليفَنت، وقدتَ الشرطة إليهم".

سألني: "ولماذا سأفعل ذلك؟".

أجبتُه: "من الخوف، في البداية أخفتَ إيبو، ثم أصبتَ أنت بالخوف. وأنا متأكد من أنك كنت لتشعر بالسعادة في حال مات الشاب في اشتباك مع الشرطة".

قال: "ما هذا الذي تقوله؟".

قلت: "أنا أعرف ما أقول، فقد وصلك الكلام بدايةً عن الأمور التي تقع، فقررتَ هذه المرة أن تكون شريكًا بدلًا من أن تمنع الأمر. وبدأتَ تخيف إيبو فأخبرتَه أنه إن لم يحصل على دعم من الداخل فسوف يُقبض عليه، وقد تكون وصلتَ إلى تهديده. وأعتقد أن هذا حدث في اجتماع نادي المصورين".

استطعتُ أن أرى البخار على نظارته.

وتابعتْ: "وبعدها خاف الولد بالفعل، فهرب وذهب إلى أتاكوي. وعندما أتيتَ للبحث عنه خفتَ أنتَ أيضًا، وأردتَ التخلص من إيبو والابتعاد عنه".

خلع نظارته، واخذ يمسحها بغطاء الطاولة، فبدت مسحة من الغباء الحقيقي على وجهه بدون النظارة.

"كنتَ تعرف زوهال وسينَم. وراقبتَني عندما اتصلتُ بالهاتف، فعرفتَ بأنني تكلمتُ مع زوهال، وبعد ذلك عاودتَ الاتصال بالرقم الذي حفظتَه من خلال انتباهك إلى صوت القرص وعدد لفاته".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أعاد وضع نظارته مرة أخرى، فعاد كورتار توبراك الذي أعرفه.

"ثم قمتَ بتخويف زوهال أو خداعها لتخبرَك بمكان منزل ليڤنت".

شبكتُ يديّ ووضعتُهما على الطاولة إشارة إلى انتهائي من الكلام. وانتظرتُه ليتحدث إلا أنه لم يقل شيئًا. ولو كان سألني لقلت له إن الخبر المسجل في شريط الفيديو حول سرقة اللحن هو الذي أوحى إليّ بالفكرة وقادني إلى هذه النتيجة، ولكنه لم يسأل.

قلت له: "ما أخبرتك به ليس هو المهم، لأن إيبو سوف يعطيهم اسمك عندما يتم الضغط عليه، وسوف تراهم غدًا".

تكلّم أخيرًا وقال: "هل سيصدقون إيبو، أم سيصدقونني؟".

قلت: "سوف يصدقونك أنت بالطبع. ولكن عندما يرد اسمك في قضية مثل هذه فاعتبر عملك في الجامعة قد انتهى. وإذا كنتَ متماسكًا خلال التحقيق فبإمكانك أن تفلت منه، ولكنك في النهاية سوف تخسر المكان الذي تحبه، ويتوجب عليك البحث عن عمل جديد لا يوجد فيه أناس يتحدثون عنك".

لم أنتظر سماع جواب منه، لأنه كلامه لن يعني لي شيئًا، بل قلت له: "الطاولة لك الآن. ويمكنك اختيار النادي الجامعي الذي ستدفع من ميزانيته الحساب، لأنها ستكون المرة الأخيرة لك".

Telegram:@mbooks90

أخذت علبة التبغ من أمامه قبل أن أخرج من المطعم، وبما أن السيارة لم تكن معي فقد نزلت إلى جوار قلعة حصار ومشيت باتجاه ساحل بِبك، فقد كنت بحاجة إلى المشي.

Notes

[1←]

فن من الفنون القتالية اليابانية الحديثة قام بتطويره موريهي أوي شيبا في بدايات القرن العشرين.

[2←]

كعك مستدير الشكل مغطى بالسمسم، شائع جدًا في تركيا.

٢٧٠٧٢٣٩٠٦٥

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner